تعليقات على بعض الإشارات الفارسية
فى الأشعار العربية

للدكتور طه ندا

— ١ —

اتصل العرب بالفرس من قديم الزمان . ومع أن العرب استطاعوا عند الفتح العربى أن يسيطروا على الفرس وأن يقضوا على ملكهم الا أن الشخصية الفارسية مع ذلك لم تفن فى شخصية العرب الفاتحين ، وإذا كانت الشخصية الفارسية قد كمنت وخضعت للقوى القاهرة أكثر من مرة الا أنها كانت على الدوام حية لم تمت ولم تفن . ولقد خضعت بلاد الفرس للاسكندر وخلفائه من بعده فترة طويلة ومع ذلك استطاعت أن تنهض . ثم كبت مرة أخرى أمام العرب الغزاة ولكنها نهضت بعد ذلك من جديد . ومن الطبيعى أنها فى خلال هذه الغزوات كانت تتأثر بالغزاة الفاتحين لكنها لم تفقد شخصيتها ، بل أنها كانت رغم خضوعها للغزاة تؤثر فيهم كما تتأثر بهم ، فكان لها بذلك دورها الايجابى .

وإذا كان من العسير أن نتتبع على وجه التحقيق مظاهر الاتصال بين العرب والفرس فى الأزمنة المتقدمة فمن اليسير كلما تأخر الزمن أن نحدد هذه الاتصالات ونبين نوع العلاقات التى كانت تربط بلاد العرب وبلاد الفرس بناء على ما لدينا من نصوص فى كتب التاريخ أو الأدب .

وربما كانت أقدم الاشارات التى بقيت لنا فى النصوص عن هذه الصلات مازعمه العرب ، وجاراهم فيه الفرس ، من انتساب الضحاك

اليهم (١) . وسيأتى من الشعر العربى ما يدل على هذا (٢) . أما العرب فقد أعجبهم ما كان عليه الضحاك من القوة والبطش والجبروت ففخروا به ونسبوه اليهم . وزعموا أنه الضحاك بن علوان بن عمليق بن عاد وأنه حارب الملك جمشيد (٣) فى أرض بابل حتى ظفر به واستولى على ملكه ثم قتله (٤) . أما الفرس فقد ساءهم ما كان عليه الضحاك من الظلم والاستبداد وقتل الابرياء فارادوا أن يطهروا تاريخهم منه فجعلوه عربياً واعتبروه دخيلا على بلادهم وتاريخهم . وهكذا تنظر اليه الشاهنامه التى لا تفيض فى تاريخه وحوادثه بما يتناسب مع مدة حكمه التى زعمت أنها الف سنه .

ثم تتجدد العلاقة بين العرب والفرس أيام افريدون (٥) الذى خلف الضحاك فى الملك . وتروى الشاهنامه أن أفريدون أراد أن يزوج أولاده الثلاثة فظل يبحث عمن يلقن بهم من النساء حتى دلوه على بنات ملك اليمن الثلاث . فأرسل اليه يخطبهن لأولاده (٦) وتمت بذلك المصاهرة بين العرب والفرس .

وتمتد تاريخ ملوك الحيرة وصلتهم ببلاد الفرس إلى أيام ملوك الطوائف(٧) . ويذكر اليعقوبى أن أهل اليمن لما تفرقوا قدم مالك بن فهم بن غنم بن دوس أرض العراق فى أيام ملوك الطوائف ، واستطاع أن يسيطر على بعض العرب من معد وغيرهم وأن يتملك عليهم عشرين سنة (٨)

---

(١) سيرد الحديث عنه بالتفصيل . راجع ص ١٦ ، ١٧ ، ٤٠ .

(٢) راجع ص ١٦ ، ١٧ .

(٣) هو الملك الرابع من ملوك الدولة البيشدادية أولى دول الفرس . وتزعم الأساطير أنه ملك سبعمائة سنة .

(٤) الأخبار الطوال ص ٥ ط السعادة بمصر .

(٥) راجع الحديث عنه ص

(٦) الشاهنامه : ص ٦٥ ج ١ ط بروخيم طهران .

(٧) حكموا إيران من سنة ٢٥٠ ق . م حتى سنة ٢٢٦ م .

(٨) تاريخ اليعقوبى : ص ٢٣٦ ج ١ ط بريل .

ويزداد الاتصال بين العرب والفرس على مر الأيام ويأخذ هذا الاتصال مظاهر مختلفة تجارية أو إدارية أو حربية .

وعندما تولى أمر الفرس فى عهد الدولة الساسانيه سابور الثانى وسابور ابن هرمز المعروف بسابور ذى الأكتاف كان صبياً صغيراً (٣٠٩ ــ ٣٧٩م) فطمع العرب فى مملكته وتدفقت جموعهم الى بلاده يغيرون ويسلبون . ولم يلق العرب أمامهم مقاومة تردهم لصغر سن الملك وقتذاك . ولكنه لما بلغ أشده عزم لينتقمن من العرب أشد انتقام . وقد كان ، حتى انه كان يخلع أكتاف من يقع فى يده من أسرى العرب . ومن هنا سمى سابور ذا الأكتاف . ومع ما كان يمتلىء به قلب سابور من كراهة العرب فانه كان ــ كعادة ملوك الفرس ــ يستخدم منهم فى بلاطه كتاباً ومترجمين ومستشارين له فى الشئون العربية . ومن بين كتابه العرب لقيط بن يعمر الأيادى وله ذكر فيما بعد (١) .

واذا تركنا الحيرة وجدنا أن نفوذ الفرس كان يمتد الى أنحاء أخرى من شبه الجزيرة العربية . وفى اليمن كان العنصر الفارسى منتشراً . وهذا العنصر من سلالة الجند الفرس الذين جاءوا بلاد اليمن فى عهد ملكها سيف بن ذى يزن . وكان أهل اليمن قد ضجوا من احتلال الأحباش لبلادهم وسوءسيرتهم فيهم فخرج سيف بن ذى يزن حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر وطلب وساطته عند كسرى لنصرته على الأحباش . وقد أجابه كسرى الى ما طلب وأرسل معه جيشاً بقيادة وهرز بن الكانجار الذى أمعن فى الأحباش تقتيلا وقضى على مسروق آخر ملوكهم فى اليمن ، وولى مكانه سيف بن ذى يزن . ولكن سيفا أخطأ حين احتفظ فى بطانته بعدد من هؤلاء الأحباش الموتورين منه بطبيعة الحال والذين انتهزوا فرصة سانحة فقتلوه . وعندما بلغ كسرى مقتل سيف أعاد وهرز الى أرض اليمن فقتل من بقى بها من الأحباش وظل يحكم اليمن الى أن مات ودفن هناك . وخلفه فى حكم اليمن باذان الذى

---

(١) راجع ص

استمر يحكم باسم الفرس حتى جاء الاسلام . وممن اشتهر فى الاسلام من سلالة هؤلاء الفرس طاوس بن كيسان ،ووهب بن منبه ، ووضاح اليمن .

وكان أهل الحجاز كذلك على اتصال بالفرس ، فكانوا يتاجرون معهم ويترددون على أسواق الحيرة التى كانت تجلب تجارهم اليها . وقد كون أبو سفيان وغيره من كبار قريش ثروة طيبة عن هذه الطريق .

* * *

فلما جاء الاسلام كان للفرس نفوذهم فى المجتمع الإسلامى الجديد . وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم كان سلمان الفارسى واحداً ممن اعتمد عليهم الرسول فى حروبه . وكان النضر بن الحارث (١) بما أوتيه من العلم بأخبار الفرس وملوكهم وأساطيرهم يحاول أن ينافس النبى عليه السلام فى اجتذاب العرب اليه . وكان يقول : أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثاً منه فهلم الى فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار .. الخ (٢) . ويروى القلقشندى فيما نقله عن محمد بن عمر المدائنى انه «قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وإن كان عربياً لأن الله تعالى بعثه الى الناس كافة ولم يكن الله بالذى يبعث نبياً الى قوم لا يفهم عنهم ولذلك كلم سلمان بالفارسية وساق بسنده إلى عكرمة أنه قال سئل ابن عباس هل تكلم رسول الله بالفارسية قال نعم . دخل عليه سلمان فقال له درسته وسادته(٣) . قال محمد بن اميل أظنه مرحباً وأهلاً»(٤) .

---

(١) كان النضر ابن خالة النبى ، جاب البلاد واتصل بالعلماء والحكماء وحصل كثيراً من العلوم كالفلسفة والحكمة والطب . وكان كثير الأذى للنبى ، واشترك مع جند المشركين بقيادة أبى سفيان فى يوم بدر . وانتهى أمره الى الأسر والقتل .

(٢) سيرة ابن هشام . ص ٣٢١ ج ١ ط الحلبى ١٩٣٦ .

(٣) درسته بالفتح بمعنى العفو والمسامحة . وسادته بهذه الصورة لم أتبين معناها وربما كانت تحريفاً . واذا كانت درست بضم الدال بمعنى صحيح ومستقيم وكامل . . الخ وكانت وسادة بمعناها العربى فمن المحتمل أن يكون سلمان قد قصد أن يحيى الرسول عند دخوله بما معناه «طاب مجلسك» و على كل حال فليس فى هذا النص ما يفيد معرفة الرسول بالفارسية .

(٤) صبح الأعشى : ص ١٦٦ ج ١ ط دار الكتب ١٩٢٢ .

وفى عهد عمر رضى الله عنه كان للفرس شأن كبير فى الحياة الاسلامية العامة . وعندما تحير عمر فى إحصاء الغنائم التى كانت ترد عليه وكيفية توزيعها أشار عليه واحد من الفرس بتدوين الدواوين وكان هذا مبدأ اتخاذ الديوان . ولم تستطع الدولة الاسلامية الناشئة أن تستغنى عن خبرة الفرس الذين أسلموا وبقى الدهاقين يؤدون خدماتهم للدولة الجديدة ، فكانوا يقومون بجمع الضرائب ، وإمساك الدفاتر الخاصة بها ، وتحديد الضريبة المفروضة على كل ممول ، كما كانوا على العموم ينفذون كل ما يطلب اليهم ويمثلون الدولة فى أقاليمهم . وظل العرب يعتمدون الى فترة طويلة من الزمن على ما وضعه لهم هؤلاء من النظم الخاصة بالشئون الادارية والمالية . ونتج عن هذا أن دخل اللغة العربية كثير من الألفاظ والاصطلاحات الفارسية الخاصة بهذه الشئون ، بل أنهم أمدوا الأوربيين أنفسهم ببعض الاصطلاحات المصرفية . ومن الأمثلة على ذلك كلمة « Cheque » (١) .

واعتمد العرب على الفرس فى ميادين أخرى غير الميادين المالية والادارية . وابن الأثير يذكر مثلا أن مهندساً فارسياً اسمه روزبه بنى لسعد بن أبى وقاص قصر الكوفة من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة (٢) ويقول الطبرى ما مؤداه أن سعداً بنى قصراً بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم وجعل فيه بيت المال ، ثم أن بيت المال نقب عليه وأخذ من المال فكتب سعد الى عمر يخبره خبر سرقة بيت المال ، وهنا يتقدم لسعد دهقان من أهل همدان يقال له روزبه ابن بزرجمهر يعرض عليه أن يبنى له بيت المال ويبنى له قصراً ثم يصل ما بينهما كأنهما بنيان واحد ، فوافقه سعد وتم على هذا النمط بناء قصر الكوفة من نقض آجر قصر كان للأكاسرة فى ضواحى الحيرة (٣) .

وكان زهير بن سليم من رجال سعد فى حرب القادسية . وعندما قتل النخارجان أحد قواد الفرس فى تلك الحرب سلبه سواريه ودرعه وقباءه

---

(١) بالفارسية «جك»

(٢) ابن الأثير : وقائع سنة ١٧ .

(٣) الطبرى : حوادث سنة ١٧ ص ١٥٠ ج ٣

ومنطقته وقدمها لسعد فأغنمه اياها وأمره أن يلبس ملابس النخارجان فكان زهير بذلك أول من لبس من العرب السوارين (١) .

وكان العرب فى حروبهم مع الفرس يقابلون عدوا لهم به معرفة سابقة ولهم بأراضيه خبرة اذ سبق لهم أن ارتادوا تلك البلاد والأراضى وقاموا بغزوات متقطعة عليها ، كما كانوا بالاضافة الى كل ذلك على علم بأحوال الفرس السياسية والاجتماعية . ويمكن أن نعتبر واقعة ذى قار (٦٠٤ — ٦١٠م) من الوقائع ذات الأثر البعيد فى نفسية العرب اذ أحسوا بعد انتصارهم فيها أنهم قادرون على إلحاق الهزيمة بدولة كبرى كدولة الفرس مما شجعهم بعد ذلك على مناوشتها وأطمعهم فى أراضيها .

وفى عهد بوران دخت بنت كسرى برويز التى حكمت حوالى سنة ٦٢٨ م (٢) انتهز العرب فرصة ضعف الفرس الذين لم يجدوا الرجل الكفء الذى يتولى ملكهم فولوا عليهم امرأة ، وأخذوا يتسللون الى أراضى الفرس بقيادة المثنى بن حارثه الشيبانى ، وسويد بن قحطبة العجلى . وكان المثنى يغير على الأراضى الفارسية من ناحية الحيرة ، وسويد من ناحية الأبلة . ولم يكن هذان البطلان يلقيان مقاومة تذكر فدعاهما ذلك الى التوغل فى أراضى السواد . وكان ذلك أيام الخليفة ابى بكر . فلما جاء عهد عمر لم يعد الأمر مجرد إغارات كتلك التى يقوم بها المثنى ، ووجهت الجيوش المنظمة الكبيرة لحرب الفرس .

وكان العرب فى حروبهم مع أعدائهم يعرضون عليهم شروطهم قبل المناجزة . ولم تكن هذه الشروط تتجاوز واحداً من ثلاثة : الاسلام أو الجزية ، أو القتال . وكان على عدوهم أن يختار واحداً من هذه الثلاثة فان أسلم تركوه ورجعوا وخلفوا فيه كتاب الله ، وان لم يقبل الاسلام ديناً فعليه أن يفتدى نفسه بالجزية ، فان لم يقبل الأولى أو الثانية لم يبق هناك

---

(١) الأخبار الطوال — ص ١٢٣

(٢) كانت مدة حكمها ستة أشهر فقط .

مفر من القتال . وكان العرب يقبلون على القتال بنفس راضية مطمئنة فإما الاستشهاد ودخول الجنة ، وإما النصر والظفر بغنائم الأعداء وأرضهم وأبنائهم وأموالهم . وعلى العموم فقد كان إسلام الاعداء أحب الى العرب من غنائمهم ، ومقاتلتهم أحب الى العرب من مصالحتهم (١) . وكما قال المغيرة بن شعبه لرستم قائد جيوش الفرس «يدخل من قتل منا الجنة ويدخل من قتلنا منكم النار ويظفر من بقى منا بمن بقى منكم (٢)» .

وتقابل العرب مع الفرس فى غزوات صغيرة أول الأمر (٣) الى أن كانت حرب القادسية وفيها هزم الفرس وولوا هاربين الى المدائن ففتحها العرب هى الأخرى وظلوا يطاردونهم حتى كانت وقعة نهاوند سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م . وبعدها كان أمر ما بقى من البلاد هيناً فطفقوا يفتحون البلدة تلو البلدة وظل يزدجرد آخر ملوك الساسانيين يفر أمامهم من مكان الى مكان حتى قتل سنة ٣١ هـ / ٦٥١ م لعهد عثمان بن عفان بعد أن ملك عشرين سنة قضى منها ست عشرة فى محاربة العرب (٤) .

وكان من نتائج هذه الفتوح أن أصبح المجتمع يتكون من ثلاث طبقات طبقة العرب الفاتحين ، طبقة المسلمين الجدد وهم الموالى الذين اعتنقوا الاسلام ، طبقة غير المسلمين . وكان للطبقة الثانية أثر كبير فى الحياة السياسية والاجتماعية للدولة العربية الاسلامية فى العصور التالية . كما كان للصراع بينها وبين الطبقة الأولى مظاهر فى الشعر كما سيأتى (٥) .

---

(١) الطبرى – ص ٤١ ج ٣

(٢) نفس المصدر – ص ٣٩ ج ٣

(٣) كنزوة الخارق ، السقاطية ، الجسر ، اليس ، البويب ... الخ .

(٤) فى الطبرى أنه ملك عشرين سنة قضى منها أربع سنين فى دعة وست عشرة سنة فى تعب من محاربة العرب اياه وغلظتهم عليه . ص ٣٤٨ ج ٣ . هذا بينما تعتبر الشاهنامه مدة حكمه ست عشرة سنة فقط .

(٥) راجع ص .

ففى العهد الأموى كان الأمر كله بيد الطبقة الأولى وحدها وهى طبقة العرب . وكان أفراد هذه الطبقة ينظرون الى أفراد الطبقة الثانية على أنهم أقل منهم شأناً . وقد عانى الموالى المسلمون — معاناة شديدة من جراء هذه النظرة اليهم وحز فى نفوسهم وضعهم الاجتماعى الشاذ الذى وضعتهم فيه الدولة الأموية المتعصبة للعرب أشد التعصب . ومع ما بلغه قدر الموالى من العلو فى مضمار الدين ، العلم ، الأدب فان هذا كله لم يكن ليشفع لهم ليحظوا من الدولة العربية بالمساواة الاجتماعية بينهم وبين العرب . وكان لابد للمظلوم أن يثور ليرفع عن كاهله هذا الذل وليقضى على هذا الحكم المستبد . وهذا ما حدث . ويمكن أن نتخذ من حركة المختار مثلا للحركات الثورية التى قام بها الموالى . وكان الموالى يرمون من وراء هذه الحركة إلى تحقيق المساواة التى دعا اليها الدين الاسلامى ، أما زعماء هذه الحركات الثورية كالمختار أو غيره فمن الجائز أن يكون لهم طموح شخصى استعانوا على تحقيقه بهؤلاء الموالى المتذمرين الذين لم يتبينوا الأهداف الخفية عند زعمائهم (١) . وكان العرب يضيقون بمثل هذه الحركات أشد الضيق لأن انتصار الموالى معناه القضاء على جاههم ونفوذهم وامتيازاتهم . وكان أشراف أهل الكوفة يغيظهم من المختار أنه عمد إلى مواليهم وهم فَيْءٌ أفاءَهُ الله عليهم فلم يرض لهم حتى جعلهم شركاءهم فى فيئهم (٢) . وقد بلغ حقد العرب على هؤلاء الموالى حد الوحشية . ولم يكن معاوية بن قرة المزنى ، وكان قاضيا لأهل البصرة ، يستحى من أن يروى عن نفسه فى حربه ضد الموالى من اتباع المختار أنه انتهى إلى رجل منهم فأدخل سنان الرمح فى عينه وأخذ يخضخض عينه بسنان رمحه (٣) .

---

(١) فى نص للطبرى أن المختار كان يقول « أنا رجل من العرب ورأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز ورأيت نجدة انتزى على اليمامة ومروان على الشام فلم أكن دون أحد من رجال العرب فأعفت هذه البلاد فكنت كأحدهم الا انى قد طلبت بثأر أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم اذ لامت عنه العرب » ص ٥٧٠ ج ٤ .

(٢) الطبرى — ص ٥١٨ ج ٤ .

(٣) الطبرى — ص ٥٦١ ج ٤ .

ومع كل هذه العصبية العربية لم يتخل الأمويون عن تقليد الفرس واقتفاء آثارهم . وابن خلدون يروى لنا أن الحجاج بن يوسف أولم وليمة لختان أحد أولاده ، وأراد أن يستعين بأحد الدهاقين فى اعداد الوليمة فسأله عما جرت به عادة كبراء الفرس فى أمثال هذه المناسبات ليحذو حذوهم فلما اجابه الدهقان استهول الأمر واستعظمه وفضل أن يرجع إلى تقاليده البدوية فنادى غلامه اينحر الجزر ويطعم الناس (١) .

وإلى الفرس يرجع الفضل فيما ناله الغناء العربى زمن الأمويين من تقدم وتطور . وفى الأغانى أن سعيد بن مسجح مولى بنى جمح مكى أسود متقدم من فحول المغنين وأكابرهم وأول من صنع الغناء منهم ونقل غناء الفرس إلى غناء العرب(٢) . ومن روايات صاحب الأغانى أيضاً فى هذا الصدد أن معاوية بن أبى سفيان حين بنى دوره استخدم فى ذلك بنائين من الفرس وكان ابن مسجح يأتى فيسمع من غنائهم وهم يبنون فما استحسنه أخذه ونقله إلى الشعر العربى ويضرب لذلك مثلا بأبيات الأحوص التى لحنها ابن مسجح على بعض تلك الألحان (٣) .

ثم انقضت الدولة الأموية وجاءت الدولة العباسية فجاء معها خلاص الفرس من هذا الاستعباد وليس هنا ما يدعو للخوض فى بيان الدور الذى قام به الفرس لاقامة الدولة الجديدة ، ولا لبيان ما آل اليه شأن الفرس فى عهد الدولة العباسية من الارتفاع فهذا أمر معروف . كما أنه ليس من الضرورى — رغبة فى الايجاز — أن نبين كيف امتد أثر الفرس إلى كل ناحية من نواحى الحياة فى العصر العباسى ، وكيف استعان العرب فى هذا العصر فى كل شأن من شئون حياتهم بأسباب الحضارة الفارسية حتى ديانات الفرس القديمة تسللت إلى هذا المجتمع الاسلامى وأثرت فيه .

---

(١) ابن خلدون — ص ١٤٥ ج ١ .
(٢) الأغانى — ص ٢٧٦ ج ٣ .
(٣) الأغانى — ص ٢٨١ ج ٣

والمهم أن الفارسي الذى كان يطمح فى عهد الدولة الأموية إلى مجرد المساواة بالعرب أصبح اليوم يحتقر العرب ويفخر عليهم ويعيرهم بماضيهم ويضع الكتب وينشىء الأشعار فى تعداد مثالبهم كما سيرد ذلك فى مجموعة النصوص . وهكذا تنحى العربى مكرها عن مكان الصدارة التى كانت له فيما مضى . ولم يكن هذا أمراً هيناً على نفس العربى كما أنه لم يطق صبراً على وقاحة هؤلاء الفرس ، ورأينا من شعراء العرب من يهاجمهم ويحط من قدرهم كما فعل أبو الأسد . وسيرد شعره فيما بعد (١) .

(٢)

رأينا فيما قدمنا من عرض تاريخى موجز كيف كانت صلات العرب بالفرس خلال التاريخ . ومن الطبيعى أن يضم الشعر العربى كثيراً من الاشارات التى تشير إلى هذه الصلات ، وتتحدث عن جيرانهم الفرس حديثاً يتناول كل شأن من شئونهم كشئون الحروب والمنازعات السياسية ، ومظاهر الترف والحضارة إلى غير ذلك من الشئون التى عرفها العرب عنهم وقلدوهم فى كثير منها . وسنعرض فى هذا القسم من البحث لطائفة من الاشعار العربية التى تضم مثل هذه الاشارات الفارسية فى مختلف الشئون .

وأول ما نعرض له مما فى الشعر العربى من مظاهر هذه الصلات لغة الفرس نفسها ، وقد كانت هذه اللغة معروفة لدى العرب فى كل وقت . وكان منهم كثيرون أتقنوها وبرعوا فيها حتى أن ملوك الفرس كانوا يستخدمون أمثال هؤلاء فى بلاطهم تراجمة وكتاباً ومستشارين . وكان عدى بن زيد قد تعلم العربية فى كتاب العربية والفارسية فى كتاب الفارسية حتى صار كما يقول صاحب الأغانى من أفهم الناس بالفارسية وأفصحهم بالعربية (٢) وفى عهد النبى عليه الصلاة والسلام كان سلمان الفارسى يجد من المكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشجعه على تحيته بالفارسية دون

---

(١) راجع ص

(٢) الأغانى – ص ١٠١ ج ٢ ط دار الكتب ١٩٢٨ .

العربية كما مر بنا فى نص سابق (١) . وفى العهد الأموى ، على شدة اعتداده بالعصبية العربية ، كانت اللغة الفارسية منتشرة بين الناس كما يبدو ذلك من قصة يزيد بن مفرغ حين عذبه عبيد الله بن زياد وسقاه مسهلا ثم ربطه فى فرس يطوف به فى السوق وقد فعل المسهل فعله واجتمع الصبية حوله يقولون « اين شيست » أى ما هذا (اين جيست) فكان ابن مفرغ يجيبهم :

آبست ونبيـــــذ است عصـــارات زبيب است

ميـــــه روى سبيـــــد است

أى إنه ماء ونبيذ ، إنه عصارات زبيب ، وميه وجهها أبيض(٢) .

وكانت الفارسية منتشرة ، على عهد الدولة الأموية ، انتشاراً كبيراً فى العراق لكثرة الموالى هناك وكان أهل الشام فى حربهم للمختار وشيعته ينظرون اليهم على أنهم « عبيد اباق تركوا الاسلام وخرجوا منه ليست لهم تقية ولا ينطقون بالعربية(٣) » . ولما بلغ اتباع المختار ما لقى إخوانهم من الهزيمة فى حربهم مع ابن شميط لم يصدقوا مبلغهم وقالوا بالفارسية « اين بار دروغ كفت » أى أنه كذب هذه المرة (٤) .

وفى عهد الدولة العباسية أصبحت الفارسية مألوفة فى أسماع العرب حتى أن العربى الذى يجهلها كان مع ذلك يستميغها إذا سمعها بل يطرب لها . ويحكى أن أعرابياً سمع غناء بخراسان بالفارسية ، ولم يكن على علم بها ، فشوقه الغناء لشجاه وحسنه فقال فى ذلك (٥) :

---

(١) راجع – ص

(٢) وفى رواية أخرى شية روسبى است بدل روى سيد . وروسبى بمعنى العاهرة والفاجرة

(٣) الطبرى – ص ٥١٦ ج ٤

(٤) نفس المصدر والجزء – ص ٥٦٢ .

(٥) وقيل إنه لأبى تمام .

حدثتك ليلة شرفت وطـــابت أقام سهادها ومضى كـراها
سمعت بهـــا غناء كان أولى بأن يقتاد نفسي من عنـاها
ومسمعـــة يحـار السمع فيهـا ولم تصممه ولا يصمم صداها
مرت أوتارهـــا فشققت وشـــــاقت فلو يستطيع حامدها فداها
ولم أفهم معـــانيهـــا ولـكن ورت كبدى فلم أجهل شجاها
فكنت كأنني أعمى معـــنى يحب الغـانيات وما رآها(١)

ومن الواضح أن معرفة الفارسية فى العصر العباسى كانت أمراً يدعو إلى الفخر والاعجاب وكان الشعراء يتخذون منها فى أشعارهم مادة ظرف وتملح . والجاحظ يذكر أن الأعرابى قد يتملح بأن يدخل فى شعره شيئاً من كلام الفارسية كقول العباني للرشيد فى قصيدته التى مدحه بها (٢) :

من يلقـــه من بطـــل مسرند فى زعفـــة محكمـة بالسرد
تجـــول بين رأســـــــه والكـــــرد(٣)

يقصد بالكرد هنا العنق من الفارسية كردن بالجاف .

وفيها يقول أيضاً :

لما هوى بين غيـــــاض الأسد وصار فى كـف المزبر الورد
آلى يـــذوق الدهـــــــــــر آب ســـرد

(آب — ماء وسرد — بارد ، عديم الطعم ، غير ملائم ، غير سار .. الخ فالمعنى الحرفى لآب سرد ماء بارد . والمقصود حسب السياق أنه واجه الدهر القاسى الشديد وذاقه ولم يبال طعمه أى لم يرهب الدهر وعواقبه) .

---

(١) نهاية الأرب — ص ١١٦ ج ٥ .
(٢) البيان والتبيين — ص ١٤١ ج ١ ط لجنة التأليف ١٩٤٨ .
(٣) يذكر الشارح أن أقدم من قول العباني قول الفرزدق
وكنا اذا القيسى نب عقوده ضربناه دون الاتنيين ص الكرد

وكقول آخر :

ودلمى وقـــع الأسنـــة والقنا ... وكافر كوبات لها عجر فقد
بايدى رجال ما كلامى كلامهم ... يسومونى مرداً وما أنا بالمرد

كوب من كوفتن أو كوبيدن بمعنى الدق والضرب وهى المادة من المصدر وتكون أيضاً بمعنى اسم الفاعل أى الضارب وكافر كوبات بمعنى الخشب والمقارع التى تتخذ للضرب . والخشبية فرقة كانت تتخذ الخشب أو الكافر كوبات . ويذكر الطبرى فى حوادث سنة ٦٦ هـ أن عبد الله ابن الزبير لما حبس محمد بن الحنفية ومن معه ليجبرهم على البيعة له بعثوا إلى المختار وإلى من معه بالكوفة يخبرونهم بما توعدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق بالنار إذا لم يبايعوه فأرسل المختار عدداً من أعوانه لانقاذهم وساروا حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الكافر كوبات وهم ينادون يا لثارات الحسين حتى انتهوا إلى زمزم ، حيث حبس زملاؤهم ، وأنقذوهم(١) .
وفى البيت الثانى مرد بالفارسية بمعنى رجل أو بطل أو شجاع . وقد وردت الشطرة الثانية يسومونى مردا .. وذكر الشارح — سامه الشىء كلفه اياه وأراده عليه . ويكون المعنى حسب شرحه يكلفونى أن أكون رجلا أو بطلا وما أنا بالرجل أو البطل . والكن من الجائز أن تكون الشطرة الثانية يسمونى مردا وما أنا بالمرد بدل يسومونى ، والمعنى على هذا أن الشاعر العربى حارب قوماً تختلف لغتهم عن لغته حتى أنهم يسمون الرجل مردا ، وليس الرجل فى العربية مردا . وهذا أوضح وأقرب وأنسب إلى معنى الشطرة الأول.

ومن الشعر الذى تشيع فيه هذه الألفاظ الفارسية قول أسود بن أبى كريمه

لـــزم الغـــرام ثـــوبى ... بكـــرة فى يـــوم سبت
فـــتمايـــلت عليهـــم ... مـــيل زنكى بمـــستى
قد حما الدازى صرفـــا ... أو عقـــاراً يا بخـــت

---

(١) الطبرى — ص ٥٤٤ ج ٤ .

ثم كفتم دور بـــــاد ويحكم آن خـــركفت
إن جـــلدى دبغتـــه أهـــل صنعـــاء بجفـت
وأبو عمـــره عنـــدى آن كـــوربـــد نمت
جالس انـــدر مكنـــاد أبـــا عمـــد بهشـــت

وهى موجودة فى البيان والتبيين .

وممن لعب بالألفاظ الفارسية فى شعره أبو القاسم العلوى الأطروش وكان أديباً من أفاضل العلوية ، نازلا استراباد ، وله فى بعض رؤساء جرجان

خليـــلى فـــرا من الدهخـــذا خـــذا حذراً من وداده خـــذا
يكنى بسعد ونحـــــا حـــذا وكل الخـــلائق منه كذا (١)

(دهخذا أو دهقان سيد القرية وكبيرها ؛ ده قرية ، خذا سيد ، لاحظ الجناس فى قوله فى البيت الأول — دهخذا فى الشطر الأول ، وده خذا فى آخر الشطر الثانى) .

وممن ورد فى شعره اشارة إلى اللغة الفارسية قول أبى على الساجى فى مدينة مرو :

بلد طيب ومـــاء معـــين وثرى طيبـــه يفوق العبيرا
وإذا المرء قـــدر الســـير عنـــه فهو ينهـــاه باسمـــه أن يسيرا (٢)

والاشارة هنا فى قوله فهو ينهاه باسمه أن يسيرا وذلك لأن نهى المخاطب عن السير باللغة الفارسية « مرو » وهى فى صورتها اسم المدينة .

---

(١) اليتيمة — ص ٤٧ ج ٤ .
(٢) اليتيمة — ص ٧٦ .

وكان أبو الفضل العكرى المروزى أحمد بن محمد بن زيد من شعراء مرو وظرفائها قد خطا خطوة أبعد فكان يترجم فى أشعاره الأمثال الفارسية . ومما ذكره له الثعالبى قوله :

من لم يكن فى بيته طعام فماله فى محفل مقام

وقوله :

إذا لم تطق أن ترتقى ذروة الجبل لعجز فقف فى سفحه هكذا المثل

وقوله :

فى كل مستحسن عيب بلا ريب ما يسلم الذهب الابريز من عيب

وقوله :

تبختر اخفاه لما فيه من عرج وليس له فيما تكلفه فرج (١)

ومن الأشعار التى(٢) وردت فيها اشارات فارسية قصيدة أبى نواس التى هجا فيها عدنان وافتخر بقحطان وبسببها أطال الرشيد حبسه ، يقول(٣)

ليست بدار عقت وغيرها ضربان من قطرها وحاصبها
ولا لأى الطلول أندبها للريح والرقش من قرانبها
ولا نطيل البكا إذا شطت النية واستعبرت لذاهبها
بل نحن أرباب ناعط ولنا صنعاء والمسك من محاربها
وكان منا الضحاك يعبده الحائل والوحش فى مساربها
ودان أدوانه البرية من معترها رغبة وراهبها

(١) يتيمة الدهر – ص ٧٣ ج ٤
وراجع أيضاً قصة الأدب الفارسى للأستاذ حامد عبد القادر ص ١٨٧ وما بعدها
(٢) الأشعار فى هذا العرض مرتبة حسب الترتيب الزمنى للموضوعات والاشارات الواردة بها
(٣) ديوان أبى نواس – ص ١٥٥ ط آصاف ١٨٩٨ .

ونحن إذ فارس تـــداقع بهـــــــــرام قسطنا على مرازبهـــا
بالخيـــل شعثا على لواحق كالعيـــدان تعطى مـــدى مذاهبهـــا
بالسـود من حمـير ومن سلف ارغن والشم من منـاسبهـا
ويوم ساتيد ما ضربنا بنى الأصـــــفر والموت فى كتائبهـــا
إذ لاذ برواز يوم ذاك بنـــا والحرب تمرى بكف حالبها
يذود عنـــه بنوقبيصة بالخـــــطى والبيض من قواضبهـــا
حتى دفعنـــا اليـــه مملكـــة ينحسر الطـرف عن مواكبها
. . . . . الخ

وفى هذه القصيدة يهجو عدنان بشظف عيشهم وبكائهم على الأطلال ويفخر بما كان لقحطان من حضارة وقوة . فالحضارة تتمثل عنده فى ناعط وهو حصن باليمن ليس لعدنان مثله ، وفى صنعاء وكانت قديماً مدينة فى بلاد اليمن ذات شأن . وأما القوة فتتمثل عنده فى الضحاك الذى بلغ من القوة حداً جعل الخائل والوحش فى مساربها تعبده . وهكذا ترى أن العرب أكبروا فى الضحاك قوته فنسبوه اليهم بينما كره الفرس ظلمه وجوره ونفوه عنهم . وهذا الاضطراب فى أمر الضحاك راجع إلى خلط الأساطير السامية بالفارسية (١) . وكان الضحاك خامس ملوك الدولة البيشدادية استولى على الملك من جمشيد وقضى على ملكه افريدون . وسيرد الحديث بشىء من التفصيل عن الضحاك وقصته مع افريدون فى موضع آخر .

---

(١) يرى الدكتور عزام فى مقدمته للشاهنامه « ان الكتب العربية والفارسية فيها كثير من لبس تاريخ الايرانيين وأساطير الساميين وتاريخهم كالذى يروى فى نسب آدم وأبنائه ونسب كيومرث ابى البشر عند الفرس وأبنائه ، وكما يرى من التشبيه بين نوح وأولاده وأفريدون وأبنائه ، وكما يروى أن ابراهيم هو زردشت وان الابستاق هى صحف ابراهيم ، وان حضرا الجنى الذى سرق خاتم سليمان هو الضحاك المحبوس فى بابل . وأمثال هذا كثير فى الكتب العربية كالطبرى وكتاب البلدان للهمذانى ومروج الذهب وفى الكتب الفارسية كفارس نامه . وهذه روايات نشأت بعد الاسلام فيما أظن » ص ٨٧ .

ثم هو لم يكتف بالفخر على عدنان وحدها بل فخر كذلك على الفرس وهذا فى الاشارة التى تتضمنها الأبيات ٧ ، ٨ ، ٩ . ويشير الشاعر فى هذه الأبيات إلى الفتنة التى وقعت بين كسرى برويز وبين بهرام جوبين. وتذكر المصادر التاريخية أن كسرى برويز لما أعياه أمر بهرام لجأ إلى قيصر الروم يستعين به ، وبينما هو فى طريقه اليه تلقاه اياس بن قبيصه وأكرمه ورجاله وأطعمهم من جوع وحملهم على الحمى فنزلوا به واستراحوا ثم زودهم وخرج بهم يحملهم على الطريق حتى أخرجهم ببالس من شاطىء الفرات ثم انصرف(١) . ولم يكن هذا هو الفضل الوحيد لاياس فان كسرى برويز (برواز فى النص) قد وجه فى بعض حروبه مع الروم اياس بن قبيصه فلقيهم بساتيدما (٢) فهزمهم وافتخر الشاعر بذلك .

وفى الضحاك أيضاً يقول أبو تمام يمدح الأفشين بعد أن هزم بابك :

ما نال ما قد نال فرعون ولا ... هامان فى الدنيا ولا قارون
بل كان كالضحاك فى سطواته ... بالعالمين وأنت أفريدون

وللقيط بن يعمر الأيادى :

يادار عمره من محتلها الجرعا ... هاجت لى الهم والأحزان والوجعا
تامت فؤادى بذات الجزع خرعبة ... مرت تريد بذات العذبة البيعا
بمقلتى خاذل أدماء طاع لها ... نبت الرياض ترجى وسطه ذرعا
وواضح أشنب الأنياب ذى أشر ... كالأقحوان إذا ما نوره لمعا
جرت لنا بينا حبل الشموس فلا ... يأسا مبيناً أرى منها ولا طمعاً
فما أزال على شحط يؤرقنى ... طيف تعمد رحلى حيثما وضعا
أنى بعينى إذ أمت حمولهم ... بطن السلوطح لا ينظرن من تبعا

---

(١) الأخبار الطوال – ص ٩١ .

(٢) ساتيدما نهر بتخوم أرزن وقيل انه جبل فى بلاد الروم . وفيه يقول الأعشى :

وهرقلا يوم ذى ساتيدما ... من بنى برجان ذى الباس رجيح

يـل أيها الراكب المزجى مطيته ... إلى الجزيرة مرتاداً ومنتجعـا
ابلغ أيادا وخلل فى سراتهم ... أنى أرى الرأى أن لم أعص قد نصعا
يالحف نفسى أن كانت أموركم ... شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعـا
إنى أراكم وأرضا تعجبون بهـا ... مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا
ألا تخـافون قوماً لا أبالكم ... أمسوا إليكم كأمثال الدبى سرعـا
أبناء قوم تآبوكم على حنـق ... لا يشعرون أضر الله أم نفعـاً
أحرار فارس أبنـاء الملوك لهم ... من الجموع جموع تزدهى القلعا
فهم سراع اليكم بين ملتقط ... شوكاً وآخر يجنى الصاب والسلعا
لو أن جمعهم رامـوا بهدتـه ... شم الشماريخ من شهلان لا نصدعا
فى كل يوم يسنون الحراب لكم ... لا يهجعون إذا ما غافل هجعا
خزر عيونهم كأن لحظهـم ... حريق غاب ترى منه السنا قطعا
لا الحرث يشغلهم بل لا يرون لهم ... من دون بيضتكم ريا ولا شبعاً
وأنتم تحرثون الأرض عن سفه ... فى كل معتمل تبغون مزدرعا
وتلقحون حيال الشول آونـة ... وتنتجون بدار القلعة الربعا
وتلبسون ثياب الأمن ضاحيـة ... لا تفزعون وهذا الليث قد جمعا
وقـد أظلكم من شطر ثغركم ... هول لـه ظلم تغشاكم قطعـا
مالى أراكم نياماً فى بلهينـة ... وقـد ترون شهاب الحرب قد سطعا
فاشفوا غليلى برأى منكم حصد ... يصبح فؤادى له ريان قد نقعا
ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا ... إذا يقال له افرج غمه كنعـا
يسعى ويحسب أن المال مخلده ... إذا استفاد طريفاً زاده طمعا
فاقنوا جيادكم واحموا ذمـاركم ... واستشعروا الصبر لا تستشعروا الجزعا
ولا يـدع بعضكم بعضا لنائبة ... كما تركتم بأعلى بيشة النخعا

صونوا جيادكم وأجلوا سيوفكم ... وجددوا للقنى النبل والشرعا
اذكوا العيون وراء السرح واحترسوا ... حتى ترى الخيل من تعدائها رجعا
واشروا تلادكم فى حرز انفسكم ... وحرز أهلكم لا تهلكوا هلعا
فان غلبتم على ضن بداركم ... فقد لقيتم بأمر الحازم الفزعا
لا تلهكم إبل ليست لكم إبل ... إن العدو يعظم منكم قرعا
لا تشعروا المال للاعداء إنهم ... إن يظهروا يحتووكم والتلاد معا
هيهات لا مال من زرع ولا إبل ... يرجى لغابركم إن أنفكم جدعا
والله ما انفكت الأموال مذ أبد ... لأهلها ان أصيبوا مرة تبعا
ياقوم أن لكم من أرث أو اكم ... إن ضاع آخره أو ذل واتضعا
ياقوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا ... على نسائكم كسرى وما جمعا
ياقوم بيضتكم لا تفجعن بها ... أنى أخاف عليها الأزلم الجذعا
هو الجلاء الذى يجتث أصلكم ... فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم ... ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا
وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ... ولا اذا عض مكروه به خشعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه ... هم يكاد شياه يفصم الضلعا
مسهد النوم تعنيه أمورکم ... يروم منها إلى الأعداء مطلعاً
ما انفك يحلب هذا الدهر اشطره ... يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته ... مستحكم الرأى لاقحما ولا ضرعا
وليس يشغله مال يثمره ... عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا
كمالك بن قنان أو كصاحبه ... عمرو القنا يوم لاقى الحارثين معا
إذا عابه عائب يوما فقال له ... دمث لجنبك قبل الليل مضطجعا

فثاوروه فألفوه أخـــا علل ... فى الحرب لا عاجزا نكسا ولا ورعا
لقد بذلت لكم نصحى بلا دخل ... فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعا
هذا كتابى اليكم والنذير لكم ... لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا

والقصيدة طويلة ، أغرتنا روعتها باثباتها كلها (١) .

ولقيط صاحب هذه القصيدة شاعر جاهلى من أهل الحيرة تعلم الفارسية وأجادها ، واشتغل بالترجمة والكتابة لكسرى سابور ذى الأكتاف وكان بحكم عمله من المطلعين على أسرار الدولة . وهو من إياد . ويذكر اليعقوبى عن إياد أنها كانت تقيم فى الحيرة ومنازلهم الخورنق والسدير وبارق ثم أجلاهم كسرى عن ديارهم حتى نزلوا تكريت على شط دجله ولكنه أخرجهم من تكريت إلى بلاد الروم فنزلوا بأنقره . وكان رئيسهم وقتذاك كعب بن مامه(٢) . ولما بلغ لقيطا ما عزم عليه كسرى بعد ذلك من نفى إياد عن تكريت كتب اليهم منهياً :

سلام فى الصحيفة من لقيـــط ... إلى من بالجزيرة من ايـــاد
بأن الليث كسرى قـــد أتاكم ... فـــلا يشغلكم سوق النقـــاد
أتاكم منهم سبعون الفـــــا ... يزجـــون الكتائب كالجـــراد

ولكن قومه لم يلتفتوا إلى قوله ، فبعث اليهم قصيدته المطولة يحذرهم من الخطر الذى يهددهم ويصف لهم عدوهم ، وينصحهم باعداد العدة للقائه ، ويثير فيهم الحمية والحماسة . ومن سوء حظ لقيط أن قصيدته وقعت فى يد كسرى فكان عقابه عنده أن قطع لسانه ثم قتله . ويذكر ابن عبد ربه (٣) أن قصيدة لقيط قيلت يوم ذى قار مخالفاً بذلك المصادر التاريخية. وكانت وقعة ذى قار حوالى ٦٠٤ — ٦١٠ م أى فى عهد كسرى الثانى

(١) رغبة الآمل للمرصفى ص ٩٩ ج ٥ .
(٢) تاريخ اليعقوبى — ص ٢٥٨ ج ١ .
(٣) العقد الفريد — ص ٢٦٨ ج ٥ ط لجنة التأليف .

أو كسرى برويز بينما عاش لقيط معاصراً لسابور الثالث أو سابور ذى الأكتاف حوالى ٣٨٣ م . وهو فرق زمنى بعيد لا يسوغ هذا الخلط .

ومن الشعر العربى عن بهرام جور :

عجبت لبهرام ومن ذات ظبية ... تجوب وتعدو بين قفر السباسب
وبهرام مع حوراء عين كأنها ... أيا الشمس أصبت بين عشب المغارب
فقالت له الحوراء دونك فارمها ... وصك بسهم من سهام الشصائب
بجامع أذنيها وأسفل ظلفها ... فلاعذر إن خالفت يابن الأشاحب (١)
فأرسل سهماً صك منها الذى بغت ... وقام اليها مغضباً بالقواضب (٢)

وقال آخر :

ولا رأى ملكاً تجبو (٣) الملوك له ... بالسند والهند والمعمور بالصين
ولا رأى اردشير الفارسى (٤) ولا ... كسرى شهنشاه (٥) إذ يلهو بشيرين
اذ قالت القنية الورهاء اذ نظرت ... إلى غزال تنافى ربرب العين
مادون جمعك ظلفيها بنافذة ... سكا إلى قرنه بهرام يرضينى
فذعر الملك وارتجت فرائصه ... من قول صناجه قالت بتهجين
فراصد الظبى حتى حك سامعه ... منه بظلف على قرن وأذنين
فسك ظلفيه بالمدرى وسامعه ... بذى غرار طرير الفصل مسنون (٦)

---

(١) يحتمل أن تكون الأشاهب وهذا أسوب .
(٢) مختصر البلدان – ص ٢٥٦ .
(٣) قد تكون تعنو أى تخضع وتذل .
(٤) من ملوك الدولة الساسانية ثلاثة شموا أردشير ، أردشير الأول وهو أردشير بن بابك (٢٢٦ – ٢٤١ م) واردشير الثانى وهو اردشير بن هرمز الملقب ليكوكار (٣٧٩ – ٣٨٣م) واردشير الثالث وهواردشير بن شيرويه بن برويز وقد حكم ستة أشهر حوالى ٦٢٨ م . وأعظم الثلاثة أولهم .
(٥) كسرى شهنشاه هنا هو كسرى برويز أو كسرى الثانى ومحبوبته شيرين (٥٩٠–٦٢٨م)
(٦) مختصر البلدان – ص ٢٥٧ .

وبهرام جور (كور) الذى تدور حوله قصة هذه الأبيات هو بهرام الخامس أو بهرام جور بن يزدجرد ويقع ترتيبه بين ملوك الدولة الساسانية الرابع عشر(١). ولبهرام بالعرب صلة قوية إذ كان أبوه يزدجرد بن سابور قد دفعه إلى النعمان بن الشقيقة (٢) عامله على الحيرة لينشأ فى بيئة صحية ويتعلم الفروسية. وينسب إلى بهرام أنه أول من قال الشعر الفارسى (٣) . وقد أجاد العربية بحكم اقامته بين العرب حتى كان ينظم الشعر العربى . ويروى عوفى أنه لما ارتقى العرش وكان فى ميعة الصبا عرض عليه جماعة من اقربائه وخواصه أن يتزوج ، فأنشد فى هذا المعنى (٤) .

يرومون تزويجى من الكفو طلباً ... ومالى من جنس الملوك عديل

أرى أن مثلى كالمحال وجوده ... وليس إلى نيل المحال سبيل

ومن أشعاره العربية يوم ظفره بخاقان وقتله له (٥):

فقلت له لما نظرت جنوده ... كأنك لم تسمع بصولات بهرام

فأنى لحامى ملك فارس كلها ... وما خير ملك لا يكون له حامى

وكان بهرام بارعاً فى الصيد حتى لقبوه «كور» وهو حمار الوحش . وارتبط هذا اللقب به بحيث أصبح جزءاً من اسمه (٦) . ولم يعرف على

---

(١) فى الشاهنامة أنه حكم ثلاثاً وستين سنة وفى غيرها من المصادر التاريخة ثلاثاً وعشرين أو تسع عشرة .

(٢) الشقيقة أمه بنت أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان وهو النعمان بن امرىء القيس بن عمرو ابن عدى .

(٣) لباب الألباب – ص ١٩ ج ١ ط براون .

(٤) نفس المصدر والجزء – ص ٢٠ .

(٥) لباب الألباب – ص ٢٠ ج ١ – وراجع أيضاً مروج الذهب ص ١٦٣ ج ١ ط البهية .

(٦) سايكس – ص ٥٩٥ ج ١ الترجمة الفارسية لفخر داعى گيلانى .

وجه التحقيق كيف مات وإن كان معروفاً أنه لقى حتفه فى احدى رحلاته للصيد (١) .

والأبيات التى مرت فيما سبق تشير إلى براعة بهرام فى الصيد . وقصتها أن بهرام خرج للصيد مع جارية من أحب جواريه إلى قلبه . ولما فرغ من الصيد نزل يستريح فى قصر له بقرية يقال جوهسته وأسرف فى الشراب مع الجارية . وفى ذروة نشوته سألها أن تتشهى عليه فنظرت الجارية حولها فرأت ظبية ترعى فوق أحد التلال البعيدة . وخطر لها لبراعة بهرام أن تطالبه بصيد تلك الظبية ، ولكنها بالغت فيما طلبت إذ أرادت منه أن يرميها بسهم واحد يصل ظلفها مع أذنها . ومع براعة بهرام فى الصيد الا أنه وجم لهذا الطلب الذى يتعذر تنفيذه ، ورأى أن الجارية جانبت اللباقة حين رامت المستحيل ، وبعد حيرة وتردد أخذ قوسه ورمى الظبية سهماً أصاب أذنها ، ولحسن حظ بهرام رفعت الظبية ظلفها لتحك أذنها فاندفع السهم إلى ظلفها . وبهذا حقق بهرام للجارية رغبتها الا أنه ساءه منها أنها تطلب ما لا يستطاع فقتلها ودفنها مع الظبية وبنى عليهما ناووساً كتب على حجارته بالفارسية قصتها . وظل الناووس باقياً إلى أيام ابن الفقيه الهمدانى (٢) . وهو على بعد ثلاثة فراسخ من همدان .

* * *

ولعدى بن زيد :

أيها الشامت المعيـــر بالدهـــر أأنت المبرأ الموفـور
أم لديك العهـد الوثيق من الأيـــام بل أنت جاهـل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضـام خفير
اين كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبـله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الـ ـروم لم يبـق منهـم مذكـور

---

(١) يقول عمر الخيام عنه :

بهرام كه كور ميكرفتى همه عمر ديدى كه بكونه كور بهرام كرفت

ويلاحظ الجناس التام بين كور الأولى والثانية .

(٢) مختصر البلدان – ص ٢٥٥ .

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـــــلة تجبى اليـــــه والخـــابور
شاده مرمراً وجـــلله كلـــــــا فلاطـــير فى ذراه وكـــور
لم يهبه ريب المنون فباد الســـــماك عنـــه غبـــابه مهجـــور
وتذكر ربب الخورنق إذ أشـــــرف يوما وللهـــــدى تفكـير
سره مالـــه وكثرة ما يمـــــلك والبحـــر محرضا والسدير
فارعوى قلبـــه فقـــال وما غبطـــة حى إلى الممات يصـــــــير
ثم بعد الفلاح والملك والأمـــــة وارتهم هنـــاك القبـــور
ثم صاروا كأنهم ورق جـــــف فألوت بـــه الصبا والدبـــور

وعدى هذا فصيح من شعراء الجاهلية كانت أهله يقيمون بالحيرة ويدينون بالنصرانية ولا يعده صاحب الأغانى من فحول الشعراء (١) . وزيد أبوه قضى فترة طفولته مع أولاد أحد المرازبة « فروخ ماهان» فتعلم الفارسية ، وزكاه المرزبان عند كسرى بعد أن شب فجعله على بريده ، ثم عاملاله على الحيرة . وأما ابنه عدى فإنه ، إلى اجادته العربية ، قد أجاد كأبيه الفارسية وخمع إلى فصاحته فى اللغتين المهارة فى الرمى بالنشاب واللعب بالصوالجة ، وكان إلى جانب هذا كله حسن الوجه ، مديد القامة ، حلو العينين ، حسن المبسم نقى الثغرة (٢) ، مما مهد له السبيل فى ديوان كسرى حتى كان أول من كتب فى ديوانه بالعربية .

وأحب عدى هند بنت النعمان بن المنذر ، وتزوجها ولكن الوشاة أوغروا صدر النعمان عليه فحبسه فى احدى زياراته له . ولعدى أشعار كثيرة وجهها من محبسه إلى النعمان يستعطفه . ولما بلغ كسرى ما فعله النعمان بعدى كتب اليه مع رسول خاص ليطلق سراحه ، ولكنه قتله مدعياً أنه مات قبل وصول

(١) ص ٩٧ ج ٢ .
(٢) الأغانى – ص ١٣٠ ج٢ .

الرسول . وترهبت هند بعد مقتل زوجها وحبست نفسها فى الدير المعروف بدير هند فى ظاهر الحيرة وعاشت بعد الاسلام حتى توفيت على عهد معاوية .

وقد ندم النعمان على فعلته ، وأراد أن يكفر عنها فرشح زيد بن عدى بن زيد للعمل بديوان كسرى مكان أبيه . واستطاع زيد بعد أن ثبت أقدامه فى ديوان كسرى وارتفع قدره عنده أن يثأر لأبيه من النعمان الذى لقى حتفه على يدى كسرى بتدبير زيد . والقصة طويلة فى كتب التاريخ والأدب (١) .

وكسرى أنوشروان الذى يشير اليه الشاعر هو كسرى أنوشروان بن قباد بن فيروز أو كسرى الأول وكان من أعظم ملوك الدولة الساسانية ، وترتيبه بينهم العشرون ودام حكمه ثمانيا وأربعين سنة (٥٣١ — ٥٧٨ م)

وأما سابور فلم يعينه الشاعر . وأول سابور هو سابور بن أردشير ابن بابك (٢٤١ — ٢٧٢ م) ، وثانيهم سابور بن هرمز المعروف بذى الأكتاف وقد حكم حوالى سبعين سنة (٣٠٩ — ٣٧٩ م) وثالثهم سابور ابن سابور ذى الأكتاف (٣٨٣ — ٣٨٨ م) .

وأخوالخضر الذى تعنيه الاشارة فى البيت السادس هو الضيزن بن بن معاوية وكان يملك أرض الجزيرة وامتد حكمه حتى حدود الشام . ومن حوادثه مع الفرس أنه أغار عليهم ونكل بهم وأصاب فى غارته أختا لسابور بن أردشير (٢٤١ — ٢٧٢ م) . وفى هذا النصر يقول عمرو بن الخليع

لقيناهم بجمع من عـلاف ... وبالخيل الصلادمة الذكور
فلاقت فارس منا نكالا ... وقتلنا هرابذ شهر زور
دلفنا للأعاجم من بعيد ... بجمع م الجزيرة كالبحور(٢)

---

(١) راجع الأغانى ص ١٢٢ ج٢ وغيره من كتب الأدب والتاريخ . راجع كذلك ص

(٢) الأغانى — ص ١٤١ ج ٢ .

ولما توجه سابور للانتقام منهم وقف أمام الحضر ، قصر الضيزن ، حيال تكريت بين دجلة والفرات ، عاجزاً عن فتحه حتى رأته النضيرة بنت الضيزن ورآها سابور فعشقته وعشقها ودلته على طريقة فتح بها القصر ، وقتل أباها الضيزن ، وأباد من كان معه من قومه وأهله . ولم ترتح نفسه لبقاء النضيرة معه بعد خيانتها لأبيها وأهلها فقتلها .

وأما رب الخورنق فهو النعمان بن امرىء القيس وهو النعمان الأول أو الأكبر . وقد حكم ثمانيا وعشرين سنة عاصر فيها من ملوك الفرس يزدجرد الأول (يزدجرد بن سابور بن سابور ذى الأكتاف ٣٩٩ — ٤٢٠ م) وابنه بهرام كور أو بهرام الخامس (٤٢٠ — ٤٣٨م) . وكان للنعمان هذا كتيبتان يحارب بهما أعداءه تتكون الأولى من الفرس وأسمها الشهباء وتتألف الثانية من العرب وأسمها دوسر . وهو الذى بنى الخورنق . وكان سبب بنائه أن يزدجرد بن سابور أرسل اليه ابنه بهرام جور (كور) ليقوم على تربيته ، فاتخذ له الخورنق مسكنا بناه له سنمار الذى كوفىء على مجهوده اسوأ مكافأة .

والخورنق معرب خورنكاه أوخورنكه أو خورند . ومعناها مكان الأكل والشرب إذ كانت الموائد تنصب فيه . وقد غلط فريق من الكتاب والمؤرخين فزعموا أن الذى بناه هو النعمان بن المنذر . وليس هذا بصحيح لأن النعمان بن المنذر كان معاصراً لكسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) ولم يكن معاصراً لبهرام جور الذى من أجله بنى الخورنق كما أجمعت المصادر . والصحيح ماقلناه من أن الذى بناه النعمان بن امرىء القيس الذى عاصر يزدجرد بن سابور وكلف من قبله بتربية ابنه بهرام وبناء هذا القصر لسكناه .

وأما السدير فيبدو من كتابات المؤرخين أنه يؤلف مع الخورنق قصراً واحداً ، وغاية ما فى الأمر أن الأخير وهو الخورنق جانب من القصر خصص

للأكل والشراب ، وأن الأول وهو الدير خصص للتعبد وأداء الفرائض الدينية . ومن هنا كان طراز بنائه مناسباً لهذا الغرض إذ كان مبنياً على شكل ثلاث قبب . ويقال إن الدير مكون فى لفظه من سه دير أى القباب الثلاث . ودير بالبهلوية بمعنى النقية(١) . وفى معرب الجواليقى ما يقرب من هذا التفسير (٢) .

* * *

ولكسرى برويز صلات واسعة مع العرب . و يكثر فى الأشعار العربية ذكر ما كان ينعم به من ألوان الترف ومظاهر الحضارة فمن ذلك قول خالد الفياض :

والملك كسرى شهنشاه تقنصه ... سهم بريش جناح الموت مقطوب
إذا كان لذته شبديز يركبه ... وعنج شيرين والديباج والطيب
بالنار آلى يميناً شد ما غلظت ... أن من بدا فتعى الشبديز مصلوب
حتى إذا أصبح الشبديز منجدلا ... وكان ما مثله فى الخيل مركوب
ناحت عليه من الأوتار أربعة ... بالفارسية نوحا فيه تطريب
ورنم البهلبذ الأوتار فالتهبت ... من سحر راحته اليسرى شابيب
فقال مات فقالوا أنت فهت به ... فأصبح الحنث عنه وهو مجذوب
لولا البهلبذ والأوتار تندبه ... لم يستطع نعى شبديز المرازيب(٣)

الاشارة الأولى فى هذا الشعر هى الشهنشاه . والشهنشاه الذى يعنيه الشاعر هو خسرو برويز أو كسرى أبرويز كما يسميه العرب . ولكسرى أبرويز شأن يذكر فى حوادث العرب والمسلمين . وقد روى أنه لما سمع ما لبنات النعمان ابن المنذر ونساء أسرته من الحسن والجمال أراد أن يصهر اليه وأرسل

---

(١) الألفاظ الفارسية المعربة – ادى شير .
(٢) معرب الجواليقى مادة سدير .
(٣) معجم البلدان - ص ٢٥٢ ج ٣ ط ليبزج .

زيد بن عدى يفاتحه فى الأمر وهو يظن أن النعمان سيلبى الطلب فخوراً بهذا الشرف الذى يمنحه اياه كسرى العظيم . ولكن النعمان خيب ظن كسرى واعتذر لرسوله ، ووجد زيد الفرصة سانحة فأوغر على النعمان صدر الملك الذى بيت له الشر وارجأ التنفيذ حتى لا يفطن إلى ما أراده به . وبعد زمن ورد إلى النعمان كتاب كسرى يدعوه اليه فجمع النعمان أهله وماله وسلاحه وسار حتى نزل عند بنى شيبان فى ذى قار . وكان سيدها هانىء بن مسعود بن عمرو الشيبانى فأودعه ما جمعه وتوجه إلى كسرى الذى طرحه تحت أقدام الفيلة فداسته حتى مات (١) واستعمل بعده على الحيرة إياس بن قبيصة الطائى وكلفه أن يجمع ما خلفه النعمان وأن يرسله اليه ، فبعث اياس إلى هانىء يأمره أن يقدم اليه ما لديه من ودائع النعمان فأبى هانىء ، فأرسل اليهم كسرى جيشاً كثيفاً لقيه العرب عند ذى قار ودارت بين الفريقين المعركة التى انتهت بانهزام العجم والتى تعرف فى تواريخ العرب بيوم ذى قار . وأشعار العرب فى ذكر هذه الواقعة والفخر بها كثيرة . وقد ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا النصر قال « هذا أول يوم انتصف العرب من العجم وبى نصروا (٢) »

وكسرى ابرويز هو الذى ينسب اليه أغلب المؤرخين أنه بنى ايوان المدائن المعروف ، ولما فرغ من بنائه عقد عليه طاقاً (٣) وكان فى هذا الطاق حلقة كبيرة من الذهب يتدلى منها سلسلة من الذهب الأحمر مرصعة باللؤلؤ والجواهر فاذا جلس الملك فى الايوان علق تاجه من هذه السلسلة فيجلس تحت التاج على تخت العاج (٤) . وكان عند كسرى عدد كبير من الكهان والسحرة والمنجمين يجمعهم كلما أحزنه أمر لينظروا فى سببه وليجدوا له مخرجاً منه . ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم تداعى هذا الطاق ، فجزع كسرى ودعا كهانه وسحاره ومنجميه ليبحثوا الأمر وكان بين كهانه

---

(١) فى رواية أخرى أنه حبسه حتى مات .

(٢) ابن الأثير — ص ١٩٥ ج ١ .

(٣) الطاق ما عطف من الأبنية معرب «تاق» وهى القبة أو الثنية .

(٤) الشاهنامة قصة بناء خسرو الطاق ص٢٨٧٧ ، ٢٨٨٦ ج ٩ والترجمة العربية ص٢٤٤ ج ٢

رجل من العرب اسمه السائب فبات ليلة ظلماء على ربوة من الأرض فرأى برقاً قد ومض فى الحجاز واستطار حتى بلغ المشرق فأدرك أن أمراً خطيراً قد حدث هناك . ولما خلا الكهان بعضهم إلى بعض وحدثهم السائب بما رأى قالوا « إنه لنبى بعث أو هو مبعوث يسلب الملك ويكسره(١)» واتفقوا فيما بينهم أن يكتموا الأمر عن كسرى خوفاً على حياتهم ، ونصحوه أن يعيد بناء الطاق ففعل ولم يكد يدخل البناء ويجلس مع أساورته حتى انتقض من جديد وكاد يهلك ، وعاود البناء ثالثة فعاد البناء إلى الانتقاض . وكان ذلك نذيراً بزوال ملكه .

ولبعض الشعراء فى هذا النطاق وماحواه من الرسوم والنقوش :

بوستان طاق ليس فى الأرض مثله ... وفيه تصاوير من الصخر محكم
وبرويز فيه والمرازب حوله ... وشيرين تسقيهم وشيخ مزمزم
وبهرام جور والمقاول مثل ... وشروين فيهم قاعد متعمم
وخرين قد اجرى وأومى بسهمه ... إلى طفلة حسانة لا تكلم
ومويذهم فى الطاق صور غريبة ... وهربذهم بالجهل والجور يحكم
وكث يحوز الماء فى النهر واقف ... ليقسم فيما بينهم ليس يظلم
وأسراب عين والكلاب تحوشها ... وطرف عليه المرزبان المكرم
وصور فيه كل وحش وطائر ... من الطير والعنقاء ما الله أعلم
وأسد وصيران وشاء وأعنز ... وحيتان بحر فى السفين تعوم
ومادب من ذر ونمل وعقرب ... وفيل وفيال عليه يدمدم
وقبج ودراج وظبي وأرنب ... وباز وصقر قد يصيد وقشعم
ومكتب صبيان وتأديب غلمة ... وشيخ عديم قيل هذا معلم
وصور فطوس على الطاق نفسه ... عليه جناحاً طائر لا يحوم
فسبحان رب سخر الصخر عنوة ... فصور فيه كل شيء مقوم
لقد ابدع الرومى فى الطاق بدعة ... أقر له بالحذق عرب وأعجم(٢)

---

(١) ابن الأثير – ص ١٩٥ ج ١ .
(٢) مختصر البلدان – ص ٢١٦ .

وهذا الايوان هو الذى قال عنه البحترى :

وكأن الايـــوان من عجب الصنعـــة جوب فى جنب أرعن جلس
ضحكت حظـــه الليـــالى وبات المشـــترى فيـــه وهو كوكب نحس

. . . . . .

فهو يبدى تجلـــــدا وعليـــــه كلكل من كلاكل الدهر مرسى
ليس يـــدرى أصنـــع أنس لجن صنعوه أم صنع جن لأنس (١)

وفيه أيضاً يقول ابن الحاجب :

ان خانني زمن فمن ذا الـــذى لم تستبحـــه خيـــانة الأزمان
أخنى على عاد وأهلك تبعـــا وخنا بكلكله على النعمـــان
وأزال ملك الفرس بعد ثبـــوته وسطا بكـــراهـــا أنو شروان
آثارهم تنبيـــك عن أخبـــارهم نصـــا وليس مغيب كعيان
هل أسمعت أذناك مثـــل حديثهم أو عاينت عيناك كالايـــوان
قصر يكاد يرد حسن بنائـــه بصراء عنـــه نواظر العميان
وكأنها فى وسط كل دجنـــــة نار تشب لعابد الرهبـــان
أو فتية شربوا فأحدث فيهـــم فعـــل الشراب مخيلة النشوان
وضعوا الأكف على الخصور ورفعوا فوق الرءوس أكلة المرجـان
مصطفة كبنات نعش من ذرى عالى السموك موثق البنيـان
ومعـــكران لكل حرب منهمـــا رجل أمام مواقف الفرســـان
جيشان لو وقع التناجز منهمـــا لم يبق من جمعهما رجلان
لولا وقوع اليأس من حركاتهم لظننت أنهما سيقتتـــلان (٢)

وكسرى هذا هو الذى جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة السابعة والثلاثين من ملكه(٣) يدعوه إلى الاسلام فعجب من جرأة محمد « كيف يقدم اسمه على اسمى فى كتابه (٤) » ومزق الكتاب فدعا

---

(١) ديوان البحترى — ص ١٦٩ ج ١ ط الآدبية بيروت . ١٩١١
(٢) مختصر البلدان — ص ١٢٣ .
(٣) مدة ملكه ثمان وثلاثون سنة .
(٤) فارس نامه — ص ١٠٦ ط ليسترانج ونيكسون .

عليه النبي «مزق الله ملكه كما مزق كتابي» . ويقول حمد الله المستوفي إنه بسبب هذا الدعاء عليه اضطرب ملكه بعد ذلك وخرج عليه ابنه شيرويه وقتله (١) .

وكان كسرى يحيا حياة في غاية الترف . ويكفي أن ننقل هنا ما ورد عنه في الشاهنامه «كان من عادته إذا ركب أن يقاد له ثلاثمائة جنيبه بعدة الذهب ويمشي بين يديه ألف وستة وستون راجلا بأيديهم المزاريق ، وألف وأربعون بأيديهم السيوف والعصى ، ويخرج معه سبعمائة من البازداريه(٢) وثلاثمائة من الفهادين وسبعون أسداً ونمراً معلمة مجللة بالديباج مشدودة الأفواه بسلاسل الذهب ، ويستصحب ألف عواد على رؤوسهم أكاليل الذهب ومائتي غلام على يد كل واحد منهم مجمر يوقد فيه العود والعنبر في الموكب ومائتي نفس من الشبان معهم الزرجس والزعفران يتقدمون الموكب حتى ترد الريح ريحها إلى مشام الملك وقدام هؤلاء مائة سقاء معهم قرب الماء يرشون الطريق حتى لو هب هواء لم يحمل غباراً من الأرض فيمسه به (٣) » .

والاشارة الثانية في هذا النص هي شبديز . وكان شبديز هذا فرساً تام الخلقة بديع التكوين كامل التدريب والإعداد فكان لما اجتمع فيه من الصفات النادرة أحب دواب كسرى إلى نفسه . وحدث أن اعتل شبديز والحت عليه العلة وعرف ابرويز ما يعانيه فرسه المحبوب من اشتداد المرض ودنو الأجل فأقسم ليقتلن من ينعاه اليه . فلما نفق شبديز خاف صاحب خيله أن يسأله ابرويز عنه فيخبره بنفوقه فيكون في هذا هلاكه . ولجأ إلى بربد مغني الملك وأخبره بموت شبديز وأغراه بالطائل من الأموال حتى يحتال له حيلة تنقذه

---

(١) تاريخ كزيده – ص ١٢١ ط براون .

(٢) حملة صقور الصيد .

(٣) الشاهنامة – ص ٢٨٩١ ج ٩ والترجمة العربية ص ٢٣٩ وراجع أيضاً تاريخ كزيده ص ١٢١ .

من موقفه وتحفظ عليه حياته . ولم يجد المغنى — وكان كذلك شاعراً — خيراً من أن ينظم الخبر ويدسه فى بعض أغانيه التى يغنيها أمام الملك . وقد استطاع بربد ببراعته فى النظم والغناء أن ينهى إلى الملك خبر نفوق شبديز فى أسلوب غير مباشر وعبارة غير صريحة . فلما سمع الملك الأغنية فهم أن شبديز قد مات فصاح « مات شبديز » فقال بربد على الفور « لم أقلها يامولاى . أنت قلتها » . فقال الملك « زه ما أحسن ما لجأت اليه فخلصت نفسك وخلصت غيرك » وجزع على فرسه جزعاً عظيما وأراد أن يخلد ذكراه فأمر فطوس بن سنمار (١) الذى نحت له تمثالا فى الصخر (٢) بلغ من دقة الصناعة وروعة التصوير مبلغاً عظيما بحيث لم يكن يفرقه عن الأصل سوى الروح ، وصور بجانبه شيرين محبوبة الملك كما صور الملك وقد ركب فرسه .. وحين شاهد الملك التمثال أذهلته دقة صناعته فخشع أمامه واستعبر وذكر حال الدنيا ومصير الأحياء .

شيرين . والاشارة الثالثة هى «شيرين» (٣) . وكانت شيرين محبوبة كسرى ابرويز . وقد اختلف فى أصلها فالشاهنامه تعتبرها فارسية . وحمدالله المستوفى يعتبرها أرمنية ويذكر أن ابرويز حين ذهب إلى بلاد الأرمن عشقها كانت ابنة ملكهم (٤) . ومنهم من يقول إنها كانت رومية ، وإن شيرين قد حرفت عن « ايرينى » أو « سيرا »(٥) .

وكان كسرى قد أمر فأعدوا له حديقة عظيمة قضوا فى اعدادها سبع سنين وجمعوا فيها من كل أصناف الطير . ولما فرغوا من اعدادها احتفل ابرويز بافتتاحها (٦) ، وشرب وسكر ، وقال لمحبوبته شيرين فى نشوة سكره

---

(١) أبوه سنمار هو الذى بنى الخورنق .

(٢) فى جبل بيستون بين حلوان وقرميسين .

(٣) الشاهنامة قصة خسرو پرويز وشيرين ص ٢٨٦٨ ج ٩ ط بروخيم . طهران .

(٤) تاريخ گزيده ص ١٢٠ ط برآون .

(٥) تعليقات مزام على الترجمة العربية ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٦) فى المكان المعروف بقصر شيرين .

سليني حاجتك . فطلبت منه أن يكون لها في هذا البستان العظيم نهران من حجارة يجري فيهما الخمر واللبن ، فوعدها بذلك ، ولكنه لما أفاق نسي وعده ، وخجلت شيرين أن تذكره به فلجأت إلى مغنيه باربد الذي هيأ أغنية ذكر الملك فيها بما نسيه . وقد وفى الملك بوعده وبنى النهرين (١) .

وفي ابرويز وشبديز يقول أبو عمران الكسروي :

وهم نفروا شبديز في الصخر عبرة ... وراكبه برويز كالبدر طالع
عليه بهاء الملك والوفد عكف ... يخال به فجر من الأفق ساطع
تلاحظه شيرين واللحظ فاتن ... وتعطو بكف حسنها الأشاجع
يدوم على كر الجديدين شخصه ... ويلفى قويم الجسم واللون ناصع (٢)

ويروى أن بعض الملوك مر هناك فراقه المكان وأعجبه التمثال فطلب الخلوق والزعفران فخلق وجه شبديز وشيرين والملك فقال بعض الشعراء :

كاد شبديز أن يجمجم لما ... خلق الوجه منه بالزعفران
وكأن الهمام كسرى وشيرين مع الشيخ موبذ الموبذان (٣)
من خلوق قد ضمخوهم جميعاً ... أصبحوا في مطارف الأرجوان (٤)

ويقال إن شيرين كان لها عاشق آخر اسمه فرهاد . فلما سمع الملك بأمره كلفه أن يشق طريقاً في جبل بيستون ووعده إن أتم العمل أن يزوجه شيرين . وكان على ثقة أنه لن يقدر . ولكن فرهاد استطاع أن يشق الطريق ولم يظفر رغم هذا بشيرين . وكان مثله مع شيرين مثل المجنون مع ليلى . وفي ذلك يقول الشاعر :

---

(١) مختصر البلدان لابن الفقيه ص ١٥٨ ط ليدن .
(٢) معجم البلدان ص ٢٥٣ ج ٢ ط ليبزج .
(٣) ذكر الموبذ الموبذان (وهو كبير رجال الدين) لأن خسرو كان قد دعا بموبذ أمره أن يزوجه شيرين .
(٤) معجم البلدان ص ٢٥٣ ج ٣ ط ليبزج .

صارت شيرين من نصيب خسرو وفرهاد يقطع الأحجار عبثا (١)

أما البهلبد فهو بربد نفسه مغنى كسرى الذى سبقت الاشارة اليه(٢) . ويقال له فى المصادر العربية باربد ، بربد، بهلبد، بهليد ، فهربذ، فهربد . وكان بربد هذا آية زمانه فى الموسيقى والغناء . وكان يقول الشعر أيضاً ولكن غلب عليه الغناء والموسيقى . ولم يعتبر عوفى أغانيه من الشعر لأنها فى نظره يعوزها الوزن والقافية(٣). ولو كان عوفى قد قدم لنا مثلا واحداً من أغانى بربد لأفادنا فائدة كبيرة ، ويسر لنا سبيل الحكم عليها حكماً قد يكون أقل قسوة من حكمه. وعلى العموم فإن المؤرخين قد أجمعوا على تقديم بربد وبلوغه الغاية فى فنى الغناء والموسيقى . ويذكر صاحب تاريخ كزيدة أن أساتذة الموسيقى كانوا يتخذون آراءه فى هذا الفن حجة ويغترفون من فيض علمه كما يذكر أنه قد ألف ثلاثمائة وستين أغنية يغنى واحدة منها كل ليلة فى مجلس الملك .

والبهلبد هذا هو الذى يعنيه البحترى فى قصيدته السابقة التى مطلعها « صنت نفسى عما يدنس نفسى» حين يقول :

قد سقانى ولم يصرد أبو الغـــــوث على العسكرين شربة خلس
من مدام تقولها هى نجـــم أضـــوا الليل أو مجاجة شمس
وتراهـــا إذا أجـــدت سروراً وارتياحا للشارب المتحـــسى
أفرغت فى الزجاج من كل قلب فهى محبوبة إلى كل نفـــس
وتوهمت أن كسرى أبرويز معـــــاطى والبهلبد أنـــــسى(٤)

ومما يذكر أن الفرس فى العهود الاسلامية قد ساروا على نمط الساسانيين فكان كبار الشعراء يجمعون إلى فن الشعر البراعة فى فن الموسيقى والغناء

---

(١) لعل شيرين نصيب خسرو شـــــــه سنك بيهرده كنه فرهاد
(٢) الشاهنامه ص ٢٨٨٢ ج ٩ ط بروخيم . طهران .
(٣) لباب الألباب ص ١٣ ج ١ ط براون .
(٤) ديوان البحترى ج ١ ص ١٦٩ ط الآدبية بيروت ١٩١١ .

كالرودكي شاعر السامانيين والفرخي شاعر الغزنيين وكان بين الرودكي شاعر السامانيين في العهد الاسلامي وبين بربد (بهلبد) شاعر الساسانيين ومغنيهم فيما قبل الاسلام كثير من أوجه الشبه . فقد كان كل منهما شاعراً ومغنياً وملحناً . وكان كل منهما ينشد الشعر مصحوباً بالغناء والموسيقى ، كما كان كل واحد منهما عالي المكانة عند مليكه يهتي اليه أدق الأخبار في أبرع قالب . وكما استعان رجال كسرى أبرويز ببربد ليخبره في ثنايا أغانيه بموت فرسه الشبديز استعانت حاشية نصر بن أحمد السامانى بالرودكي ليغري الأمير بالعودة إلى بخارى . وكان الأمير في ذلك الوقت مقيما في هراه وقد أعجبه ماؤها وهواؤها ، وطاب له جوها وثمرها فأطال الاقامة فيها ، وأجل الرحيل عنها من فصل إلى فصل حتى انقضى عليه هناك أربع سنوات فسئم رجال الحاشية والجند ، وحنوا إلى ذويهم وديارهم في بخارى عاصمة الملك . وهداهم التفكير إلى الاستعانة بالأستاذ الرودكي ، فعرضوا الأمر عليه ، ووعدوه بخمسة آلاف دينار ان استطاع أن يصرف هوى الأمير عن هراه ، وأن يحرك فيه الحنين إلى بخارى فيرحل اليها . ويقول النظامى العروضى إن الرودكي كان يعرف مزاج الأمير وإن النثر لا يؤثر فيه ، فاتجه إلى النظم ، وأعد قصيدة دخل بها على الأمير وقت الصبوح ، واتخذ مكانه في مجلسه حتى إذا سمح له بدأ يغني في لحن العشاق :

مازال يهب علينا أرج مهرجيجون وما زال يهب علينا عرف الحبيب(١)

إلى أن قال :

إن الأمير قمر وبخارى هي السماء
والقمر نحو السماء يتجه
إن الأمير سرو وبخارى هي البستان
والسرو يقبل نحو البستان(٢)

---

(١) بوى جوى مولیان آید همی بوی یار مهربان آید همی
(٢) میر ماهست وبخارا آسمان ماه سوی آسمان آید همی
میر سرواست وبخارا بوستان سروسوی بوستان آید همی

ويتابع النظامى روايته فيقول ، وهنا انفعل الأمير ونزل عن عرشه متأثراً فركب حصانه ، وقد نسي أن ينتعل من العجلة ، واتجه على الفور الى بخارى فحملوا اليه حذاءه حتى بروته على بعد فرسخين وهناك لبسه . ولم يعرج على مكان حتى بلغ بخارى (١) .

وقد اعترف معاصر والرودكي وبريد لهما بالسبق فيما مارساه من الوان الفن . ولشدة ما بين الاثنين من شبه فى المكانة والظروف قرنهما المحلدى الجرجانى فى قوله :

من متع هذه الدنيا المتنوعة
ماذا بقى لآل سامان وآل سامان
بقى ثناء الرودكي ومدحه
وبقيت أغانى بربد وقصصه (٢)

ومما عرفه العرب من ترف كسرى برويز ولم يذكره النص بساطه المعروف باسم بهاز كسرى ويسميه العرب القطيف . وكان قطعة واحدة ستين ذراعاً فى ستين منسوجاً من النسيج الذهب . وكانوا يعدونه للشتاء إذا ذهبت الرياحين فرشوه وشربوا فوقه فكأنهم فى روضة من رياض الربيع لكثرة ما نقشوا عليه من الورود والرياحين والأشجار والثمار وجعلوا الخمائل فيه من زمرد وصنعوا النهر من لؤلؤ والأشجار والثمار والورود كلها من الماس والياقوت . وقد ظفر العرب بهذا القطيف بين ما ظفروا به من غنائم المدائن ، وأثار مشكلة أمامهم فكيف يوزعونه على الفاتحين وكيف يفرقونه فيما بينهم . ولما عجزوا أرسلوه إلى عمر ليرى رأيه فيه . ولم يكن عمر أقل حيرة منهم فجمع الناس ليستشيرهم فى أمر البساط ، واستقر الرأى أخيراً على تقطيعه وتقسيمه بين الناس فأصاب عليا قطعة منه باعها بعشرين ألفاً ولم تكن مع ذلك بأجود القطع (٣) .

---

(١) جهار مقاله ص ٢٩ ط طهران .

(٢) از آن جمله ان نعيم ابن جهشيارى
كه ماند ز آل سامان وآل سامان
ثناى رودكى ماندست ومدحت
نواى باربد ماندست ودستان

(٣) الطبرى — ص ١٣٠ ج ٣ .

وللشعوبية شأن كبير فى الأدب العربى . وقد وجدوا فى الشعر مجالا واسعا للهجوم على العرب وقد أشرنا فى القسم الأول من هذا البحث أشارة موجزة إلى الشعوبية وموقفها من العرب فى العهد الأموى والعباسى . ولا حاجة بنا إلى تفصيل الكلام فى الشعوبية فالقصد إلى أشعارهم أفضل والاتجاه إلى النصوص أولى .

ومن شعراء الشعوبية المشهورين أبو نواس . والحقيقة أنه وان كان قد قسا على العرب فى هجائهم إلا أنه كان ينتسب تارة إلى القحطانية كما فى القصيدة التى مرت بنا من قبل (١) وتارة أخرى إلى الفرس . ومن لاذع قوله فى هجاء العرب .

عـــاج الشقى على رسم يساتلـه ... وعجت أسأل عن خـــارة البلد
يبكى على طلل الماضين من أســـد ... لا در درك قـــل لى من بنو أسد
ومن تميم ومن قيس ولفهمـــــا ... ليس الأعاريب عند الله من أحد
لا جف دمع الذى يبكى على حجر ... ولا صفا قلب من يصبو إلى وتد (٢)

ويقول فى موضع آخر يتحدث عن الخمر :

كانت على عهد نوح فى سفينـــة ... من حر شحنتها والأرض والطوفان
فلم تزل تعجم الدنيـــا وتعجمهـــا ... حتى تخيرها للخبء دهقـــان
فشاتها فى مغار الأرض فاختلفت ... على الدفينة أزمـــان وأزمـــان
ببلدة لم تصل كلب بهـــا طنبـــا ... إلى خباء ولا عيس وذبيـــان
ليست لذهل ولا شيبانها وطنـــا ... لكنها لبـــنى الأحـــرار أوطان
أرض يبنى بهـــا كسرى دساكرة ... فما بها من بنى الرعنـــاء انسان
وما بها من هشيم العـــرب عرفجة ... ولا بهـــا من غذاء العرب حطبان
لكن بهـــا جلنار قـــد تفرعـــه ... آس وكلله ورد ومـــوســـان (٣)

---

(١) راجع ص .
(٢) الديوان — ص ٢٦٦ .
(٣) نفس المصدر — ص ٣٤٣ .

ويقول فى هجاء الأعراب والأعرابيات وذم عيشهم :

دع الرسم الذى دثرا ... يقاسى الريح والمطرا
وكن رجلا أضاع العلم فى اللذات والخطرا
ألم تمر ما بنى كسرى ... ومابور لمن غبرا
منازه بين دجلة والفرات أخصبا الشجرا
لأرض باعد الرحمن عنها الطلح والعشرا
ولم يجعل مصايدها ... يرابيعا ولا وحرا
ولكن حور غزلان ... تراعى بالملا بقرا
وان شئتا حثتا الطير من حافاتها زمرا
خشاشارا ونحامسا ... ترى بوجودها غررا
وان قلنا اقتلوا عنكم ... بياكر شوهها الحمرا
أتاك حليب صافية ... بسذا قطعا ومعتصرا
فداك العيش لا مبدا ... بقفرتها ولا وبرا
بعازب حرة يسلقى ... بها العصفور منحجرا
إذا ما كنت بالأشياء ... فى الأعراب معتبرا
فإنك أيما رجل ... وردت فلم تجد صدرا
ومن عجب لعشقهم ... الخفاة الخلف والصحرا
فقيل مرقش - أودى ... ولم يعجز وقد قدرا
وقال الجاهل الموطأ ... عشا الأخبار والغررا
فقد أودى بن عجلان ... ولم يفطن بسه خبرا
فحدث كاذبا عنه ... وقال بغير ما شمرا
ولو كان ابن عجلان ... من البلوى كما ذكرا
لكان أذم عهداً فى الهوى وأحبه عذرا
تعشق جنسه جنس ... وقابل شدقها كبرا
تعد الشيخ والقيصوم ... والفقهاء والسمرا

جنى الآس والنسرين والسوسان إن زهرا
ويغنيها عن المرجان أن تتقلد البعرا
وتغدو فى براجدها تصيد الذئب والنمرا

وفى هذه النصوص من شعر أبى نواس أمثلة مما يهاجم به الشعوبية العرب . فالعرب أهل بداوة وفقر ، عيشهم مذموم ، ومسكنهم حقير ، وطعامهم تعافه النفس ، ثم هم إلى جانب هذا أهل سذاجة وغفلة يقفون على الطلول ، ويموجون على الرسوم ، ويبكون على الأحجار ، وتصبو قلوبهم إلى الأوتاد ، ولا يميزون الخبيث من الطيب ، ولا يفرقون بين الشيح والقيصوم وبين الآس والنسرين ، وتستغنى نساؤهم بالبعر عن المرجان ومن مثالب العرب كذلك فى نظر الشعوبية أنهم يفخرون بالآباء والأجداد ، ويتكلمون عن الأحساب ، مع أن الناس كلهم لأب وأم ، خلقوا من التراب وإلى التراب يعودون ومن تعقل لم يفخر ويتكبر ، ثم ما هذه الأنساب التى يرجعون اليها . لقد كانت العرب فى الجاهلية ينكح بعضهم نساء بعض فى غاراتهم بلا عقد نكاح فكيف يعرف الابن أباه ، وكانت نساؤهم تسبى وتوطأ ثم يستنقذون بعد ذلك فيفخر العربى بذلك . ولم يكن لهم حكمة ولا صناعة ولا فلسفة فكانوا يعيشون فى مجتمع ينقصه النظام والقانون والعدالة كمجتمع الذئاب والوحوش يأكل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض .. إلى غير هذا من المثالب مما تجده مفصلا فى المصادر(١) .

ومن شعر الشعوبية قصيدة ابراهيم بن ممشاذ المتوكلى :

أنا ابن الأكارم من نسل جم وحائز إرث ملوك العجم
ومحيى الذى باد من عزهم وعفى عليه طوال القدم
وطالب أوتارهم جهرة فمن نام عن حقهم لم أنم
هم الأنام بلذاتهم ونفسى بهم بسوق الهمم

(١) الديوان — ص ١٦٤ .
(٢) راجع مثلا العقد الفريد — ص ٤٠٣ ج ٣ .

إلى كل أمر رفيـــع العمـــاد ... طويل النجـــاد منيف العلم
وإنى لآمل من ذى العـــلا ... بلوغ مرادى بغـــير النمم
معى عـــلم الكابيـــان الذى ... به ارتجى أن أســـود الأمم
فقـــل لبنى هـــاشم أجمعـــين ... هلموا إلى الخلع قبـــل الندم
ملكناكم عنـــوة بالرمـــاح ... طعنـــا وضربا بسيف خـــذم
وأولاكم الملك آباؤنـــــا ... فمـــا أن وفيـــتم بشكر النعم
فعودوا إلى أرضـــكم بالحجـــاز ... لأكل الضبـــاب ورعى الغنم
فأنى ســـأعلو سرير الملـــوك ... بحـــد الحسام وحرف القلم (١)

وابراهيم هذا فارسى الأصل من رستاق جى ، اتصل بالخليفة المتوكل وكتب له ، وصار من أهل الحظوة عنده فنسب اليه ثم كره بعد المتوكل صحبة أولاده فترك العراق واتصل بيعقوب بن الليث . ولما اطمأن به المقام عند يعقوب فاض لسانه بما يضمر قلبه للعرب من كره وحقد ، ولم يتح أن يوجه إلى الخليفة المعتمد بالأبيات السابقة . وهو فى هذه الأبيات يفخر بفارسيته ويصل نسبه بالملك جم (جمشيد) من ملوك الأسرة البيشدادية . وفى البيت السابع يشير الشاعر إلى قصة علم الكابيان ، واسمه « درفش كاويانى» أو العلم الجاوى . وترجع قصة هذا العلم إلى عهد الضحاك (٢) الذى طغى وبغى وقتل كثيراً من الخلق حتى ضج الناس من هذا الطغيان والبغى . وكان ممن وترهم الضحاك حداد يسمى كاوه (جاوه) قتل أحد ولديه وهم بأن يقتل الثانى فلم يطق الحداد صبراً فخرج ثائراً وتبعه فى ثورته خلائق كثيرة من العامة الذين ضاقوا ذرعاً بهذه المظالم . ويقال إن جاوه فى تزعمه لهذه الثورة كان يرفع جلدة الحدادة التى يتقى الحدادون بها الشرر على رأس عصا فكانت بذلك أشبه بالعلم . واتجه جاوه ومن معه من الجموع

---

(١) معجم الادباء – ج ٣ ط رفاعى .

(٢) يذكر الضحاك بأسماء كثيرة منها ازدهاق ، ازهاق ، بيوراسب ، بيوراسف . وقد خلطوا كثيراً فى أصل الضحاك . راجع ص .

الثائرة إلى أفريدون وكان معروفاً بالعدل والاحسان ونادوا به ملكاً على البلاد . وقبل أفريدون الملك وانضم إلى الشعب فى قتال الضحاك حتى هزمه وقضى عليه . وتيمن أفريدون بتلك الراية التى كان يرفعها جاوه واعتبرها فألا حسنا . وسميت منذذلك الوقت « درفش كاويانى » نسبة اليه . وكان ملوك الفرس يتيمنون بها ويتوارثونها ويزينونهااعتقاداً منهم أنها تجلب النصر والظفر واحتفل افريدون بيوم توليه العرش احتفالا عظيما وصادف ذلك اليوم، اليوم الأول من شهر مهر ، وصار بعد ذلك عيداً من أعياد الفرس هوالمعروف بعيد المهرجان .

ويتمادى الشاعر فى قحته على رب نعمته السابق ، ويعيره والعرب بماضيهم فى البداوة وشظف عيشهم وقتذاك حين كانوا يرعون الغنم ويأكلون الضباب . والحق أن العرب يعترفون بماضيهم ولا يتنكرون له لأنهم يفخرون بالتطور الذى صاروا اليه بفضل الاسلام . ومما يروى أن يزدجرد حين استقبل وفد العرب ، الذى جاء يدعوه إلى الاسلام قبل غزو بلاده ، أخذ ينتقص من قدرهم ، ويشير إلى فقرهم ، وسوء عيشهم ، وشرع بعد ذلك يعدهم ويمنيهم ، ويقول لهم « إن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم(١) » . لعله يستميلهم بذلك ويصرفهم عن غزو بلاده . فانبرى له المغيرة بن زرارة ابن النباش الأسيدى فقال من جملة كلامه « أما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا وأما المنازل فانما هى ظهر الأرض ولا نلبس الا ماغزلنا من أوبار الأبل وأشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ويغير بعضنا على بعض وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهى حية كراهية أن تأكل من طعامنا فكانت حالنا قبل اليوم على ماذكرت لك فبعث الله الينا رجلا معروفاً نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده فأرضه خير أرضنا وحسبه خير أحسابنا وبيتسه أعظم بيوتنا .. الخ(٢) »

---

(١) الطبرى — ص ١٧ ج ٣ .
(٢) نفس المصدر والجزء — ص ١٨ .

ومن المناظرات الطريفة بين العرب والفرس تلك المناظرة التي حدثت في مجلس الصاحب بن عباد فقد دخل عليه أحد الشعراء وأنشده شعراً فخر فيه بأصله الفارسي ، وفضل قومه ، وهجا العرب وقال :

غنينـــا بالطبول عن الطلـــول ... وعن عنس تذافـــره ذمـــول
وأذهلني عقـــــار عن عقـــار ... ففي است أم القضاة مع العدول
فلمت بتـــــاركك ايوان كسرى ... لتوضح أو لحومل فالدخـــول
وضب بالفـــلا سلـــع وذئـــب ... بها يعوى وليث وسط غيـــل
يسلون الـــيوف لـــرأس ضب ... جراشا بالغـــداة وبالأصيـــل
إذا ذخـــروا فذلك يوم عيـــد ... وإن نحروا ففي عـــرس جليـــل
أما لو لم يكن للفـــــرس الا ... نجـــار الصاحب القـــرم النبيـــل
لكان لهم بذلك خـــير فخـــر ... وجيلهم بذلك خـــير جيـــــل

وكان البديع الهمذاني حاضراً فنظر اليه الصاحب يدعوه إلى الرد على هذا الشاعر والانتصار للعرب فقال :

أراك على شفـــا خطـــر مهـــول ... بما أودعت لفظك من فضـــول
تريـــد على مكارمنا دليـــــلا ... متى احتـــاج النهـــار إلى دليـــل
ألسنـــا الضاربين جـــزى عليكم ... وأن الجـــزى أولى بالذليـــل
متى قـــرع المنـــابر فـــارسي ... متى عرف الأغـــر من الخجول
متى عـــرفت وأنت بهـــا زعيم ... أكف الفـــرس أعراف الخيول
فخرت بملء ما ضمتيك هجرا ... على قحطان والبيت الأصيـــل
وتفخر أن مأكـــولا ولبـــــا ... وذلك فخـــر ربات الحجـــول
ففاخـــرهن في خـــد أسيـــل ... وفرع في مفارقهـــا رسيـــل
وأمجـــد من أبيك إذا تزيـــــا ... عراة كالليوث على الخيول(١)

---

(١) بلوغ الأرب للألوسي – ص ١٦٠ ج ١ .

وهورد مفحم دحض كثيراً من حجج الشعوبية التافهة . فما فخر بايوان أو بمأكول وملبوس ؟ .

وقد ضاق العرب ذرعاً بهذه العصبية الفارسية ، وهذا الهجوم على أهل البيت الأصلاء فانبرى فريق من شعراء العرب يدفعون عن العرب وينالون من الفرس . ومن هؤلاء أبو الأسد الذى يقول :

صنع من الله أنى كنت أعرفكم ... قبل البسار وأنتم فى التبسانين
فما مضت سنة حتى رأيتكمو ... تمشون فى القز والفوهى والطين
وفى المشاريق مازالت نساؤكم ... يصحن تحت الدوالى بالوراشين
قصرن يرقلن فى وشى العراق وفى ... طوائف الخز من دكن وطارون
أنسين قطع الحلانى من معادنها ... وحملهن كثوثاً فى الشقسابين
حتى إذا أيسروا قالوا وقد كذبوا ... نحن الشهاريج أولاد الدهاقين
لو سيل أوضعهم قدرا وأنذلهم ... لقال من فخره إنى ابن شوبين
وقال أقطعنى كسرى وورثنى ... فمن يفاخرنى أم من يناويسنى
من ذا يخبر كسرى وهو فى سقر ... دعوى النبيط وهم بيض الشياطين
وأنهم زعموا أن قد ولدتهمو ... كما أدعى الضب أنى لطفة النون
فكان ينحر جوف النار واحدة ... يفرى ويصدع خوفاً قلب قارون
أما تراهم وقد حطوا برادعهم ... عن اتنهم واستبدوا بالبرازين
وأفرجوا عن مشارات اليقول إلى ... دور الملوك وأبواب السلاطين
تغلى على العرب من غيظ مراجلهم ... عداوة لرسول الله فى الدين
فقل لهم وهو أهل لتربية ... شر الخليقة يابخر الثعابين
ما الناس إلا نزار فى أرومتها ... وهاشم مرجها الشم العرانين
والحى من سلفى قحطان إنهم ... يزرون بالنبط اللكن الملاعين
فما على ظهرها خلق له حسب ... مما يناسب كسرى غير حدون
قد رم عليه شهنشاهية ونبا ... ينبيك عن كسروى الجد ميمون
وان شككت ففى الايوان صورته ... فانظر إلى حسب باد ومخزون(١)

---

(١) الأغانى – ص ١٦٩ ج ١٢ ط التقدم .

وأبو الأسد صاحب هذه القصيدة من شعراء الدولة العباسية عربي من بني شيبان واسمه نباته بن عبد الله . اتصل بالفيض بن صالح وزير المهدي العباسي وله فيه مدائح كثيرة . ويروى صاحب الأغاني عن المناسبة التي قيلت فيها هذه القصيدة أن أبا الأسد كانت له حاجة عند بعض الوزراء فسعى عند أحد الكتاب وهو علي بن يحيى المنجم ليقضيها له عند الوزير ولكنه لم يفعل ، وعلم بخبر هذه الحاجة حمدون ابن اسمعيل فقضاها له فقال هذه القصيدة يهجو الأول ويمدح الثاني . ومن القصيدة يتضح أن الممدوح والمهجو كليهما من أصل فارسي : الا أن حمدون وهو الممدوح كريم المحتد طيب العنصر بينما كان المهجو وضيع الأصل فاسد النسب ، يصل نفسه بملوك الفرس زوراً وبهتاناً ، وانما هو من عامتهم وسوقتهم . وعبر الشاعر عن هذا بأنه من النبيط وهي كلمة تستعمل في معناها العام للدلالة على اخلاط الناس وعوامهم ، ووصف حاله أيام الفقر والمسغبة حين كان أهله يعيشون في المشرق ، ثم حاله بعد أن قدم العراق وأيسر وما هي الا سنة قضاها في العراق حتى تحول الإعسار يساراً والفاقة والعوز غنى ورخاء ، وظهرت الدعاوى الباطلة فانتسب الصعاليك إلى الملوك ، ووصل العوام نسبهم بالأكاسرة . واندفع الشاعر بعد أن غاظه هذه الدعاوى الباطلة إلى تمجيد العرب وحدهم ، ثم لم ينس في نهاية أبياته أن يقر لممدوحه حمدون بصحة انتسابه وحده إلى ملوك الفرس . وان كان قد بالغ في البيت الأخير .

والحياة الاجتماعية للمسلمين تأثرت إلى حد كبير بالفرس . ومختار من النصوص العربية ما يشير إلى ناحية واحدة من نواحي حياتهم الاجتماعية وهي الأعياد . وكان المسلمون يحتفلون بأعياد الفرس القديمة ، وخاصة في العصر العباسي ، احتفالا عظيما .

ومن أعياد الفرس التي ذاعت في المجتمع الاسلامي عيد النوروز وكان له صدى واسع في الشعر العربي . ومن الشعر الذي يشير اليه قول ابن مطران من شعراء ما وراء النهر من نيروزية :

قد أتاك النيروز وهو بعيد ... مر من قبله قريباً رسيل
سل سبيلا فيه إلى راحة ... النفس براح كأنها سلسبيل
واشتمالا على السرور وهل ... يجمع شمل السرور الا الشمول
وهدايا النيروز ما يفعل النا ... س ولكن هديتي ما أقول (١)

ومما قيل فيه :

ولما أتى النيروز يا غاية المنى ... وأنت على الإعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا إلى الحشى ... فنورزت صبحاً بالدموع على الخد (٢)

وقول الشاعر :

كيف ابتهاجك بالنيروز ياسكنى ... وكل ما فيه يحكيني وأحكيه
فتارة كلهيب النار فى كبدى ... وماؤه كتوالى عبرتى فيه (٣)

قوله :

نورز الناس ونورز ... ت ولكن بدموعى
وذكت نارهم والنار ما بين ضلوعى

وللفرس فى أصل هذا العيد أساطير كثيرة ، فمنها أنه نشأ فى أول يوم تولى فيه افريدون الملك بعد أن قضى على الضحاك ، فاستبشر الناس بهذا اليوم وجرى على ألسنتهم « نوروز آمد » أى جاء يوم جديد .. وسمى اليوم بهذا الاسم من ذلك الوقت وصاروا يحتفلون به كل عام .. ويروى البيرونى أن هذا العيد نشأ أيام سليمان بن داود (٤) إذ ذهب خاتمه فذهب عنه الملك ولما وجده بعد أربعين يوماً عاد اليه الملك وجاءته الملوك مهنئة فقالت الفرس عند ذاك ؟ « نوروز آمد » . وأمر سليمان الريح فحملته ورآه بخطاف فجاءه

(١) اليتيمة — ص ١٠٨ ج ٤ ط الصاوى
(٢) الخطط المقريزى ص ٤٩٣ ج ١
(٣) نهاية الأرب — ١٨٧ ج ١
(٤) الآثار الباقية — ص ٢١٦ ط ليبزج .

يخبره أن له عشا فيه بيضات ويرجوه أن يعدل عن حملها فأجابه سليمان إلى ما طلب ونزل على الأرض فأقبل عليه الخطاف وفى منقاره ماء رشه بين يديه تعبيراً له عن شكره . وهذا هو منشأ عادة رش الماء فى هذا العيد .

ويوافق هذا العيد أول الربيع ولذا جرت عادة الملوك أن يخلعوا فيه على رجالهم خلع الربيع والصيف . ويمتد العيد ستة أيام . ومن عادة الناس فيه أن يتهادوا السكر فيما بينهم . وكانوا يرون أن من ذاق فى صبيحة هذا اليوم قبل الكلام السكر وتدهن بالزيت دفع عنه عامة سنته أنواع البلايا (١) . وكان من رسم الاحتفال بهذا العيد عند العامة اشعال النيران فى ليلته ورش الماء فى صبيحته (٢) . وهذا يفسر الاشارات الخاصة بالنار والماء التى وردت فى الأشعار السابقة « بعثت بنار الشوق ليلا » « نورزت صبحاً بالدموع » « فناره كلهيب النار » « ومائه كتوالى عبرتى .. » « ونورزت ولكن بدموعى » « وذكت نارهم » .

وكانوا يحتفلون بهذا العيد فى مصر على عهد الدولة الفاطمية احتفالا عظيما . وهو كما يروى المقريزى من جملة المراسم التى تتعطل فيها الأسواق ويقل سعى الناس فى الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال الدولة وأولادهم ونسائهم والرسوم من المال وحوائج النوروز . . الخ (٣) . وكان أصحاب المضاحك يخرجون إلى الشوارع فى هذا اليوم وقد انتخبوا من بينهم رجلا يسمونه أمير النوروز قد طلى وجهه بالدقيق والجير ولبس الملابس الحمراء الصفراء وركب حماراً يجوب به الطرقات ويتبعه العامة ؛ فكان يطلب المال ممن يقابله فى الطريق فإن دفع تركه يمضى وأن أبى رش عليه الماء ولوث ملابسه . ولم يكن ينجو منهم صغير أو كبير عظيم أوحقير . وكان

---

(٢) «الآثار الباقية» — ص ٢١٧ .
(٣) نهاية الأرب — ص ١٨٦ ج ١ .
(٣) الخطط — ص ٤٩٣ ج ١

رجال الشرطة يرون هذه المهازل تقع أمام أعينهم فلا يعترضون على شيء منها لأنها أصبحت عادة مألوفة .. وامتد هذا التهريج إلى التلاميذ فى مكاتبهم فكانوا يهجمون على معلميهم فى هذا اليوم يطلبون منهم المال والا أغرقوهم فى البئر .

ومن الشعر العربى فى المهرجان :

أحب المهـــرجان لأن فيـــه سروراً للملوك ذوى البهـــاء
ويـــابـــا للمصـــير إلى أوان تفتـــح فيـــه أبواب السماء(١)

ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يفضل المهرجان على النوروز :

أخا الفرس إن الفرس تعـلم أنـه لأطيب من نيروزهـا مهرجانها
لأدبـار أيـام تعم هواؤهـــا واقبال أيـام يسر زمـــانها

ويأتى عيد المهرجان بعد عيد النيروز بمائة وأربعة وتسعين يوماً . وبه يبدأ فصل الشتاء . وفى سبب تسمية هذا العيد اختلاف كبير ، فأبو ريحان البيرونى يذكر أن معنى هذا العيد محبة الروح ، وقيل أن مهر هو اسم الشمس وأنها ظهرت فى هذا اليوم للعالم فسمى بها والدليل على ذلك أن من آيين الأكاسرة فى هذا اليوم التتوج بالتاج الذى عليه صورة الشمس (٢). ويزعم آخرون أن انتصار أفريدون على الضحاك صادف هذا اليوم وهو الأول من شهر مهر فاحتفل أفريدون به احتفالا عظيما، واتخذ عيداً (٣). وزعم آخرون أن مهر بالفارسية بمعنى حفاظ وجان الروح . وفى هذا التفسير يقول الشاعر :

إذا مـــا تحققـــت بالمهـــــرجا ن من ليس يعـرف معناه غاظا
ومعنـــاه أن غلب الفرس فيه فسموه للـــروح حقـــا حفاظا(٤)

(١) نهاية الأرب — ص ١٨٧ ج ١
(٢) الآثار الباقية — ص ٢٢٢
(٣) نهاية الأرب — ص ١٨٨ .
(٤) نفس المصدر — ص ١٨٧ .

إلى غير ذلك من المزاعم التى تقوم على الأساطير . ولهذا العيد رسوم يتبعونها فكان الملوك يغرقون على الناس فيه كسوة الشتاء لا يحفظون شيئاً منها فى خزائنهم لأنهم يرون أن حفظ الملابس فى الخزائن من فعل العامة وليس من شيم الملوك . وكانوا يستحسنون فى يوم هذا العيد أن يطعم المرء شيئاً من الرمان وأن يشم ماء الورد . ويسمح للرعية فى هذا العيد أن يهدوا إلى ملوكهم .

وكتب أبو اسحاق الصابى فى يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه إلى عضد الدولة :

أهدى اليك بنو الآمال واحتفلوا ... فى مهرجان جديد أنت مبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى ... علو قدرك عن شىء يدانيه
لم يرض بالأرض مهداة اليك فقد ... أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه(١)

وكتب اليه من الحبس مهرجانية مع درهم خسروانى وجزء من كتاب :

تصبح بعز واعتلاء جدود ... وأبشر بخير واطراد سعود
وقبل مرحباً بالمهرجان وحيه ... بطلعة بسام أغر مجيد
له زورة فى العام مازال يومها ... كفيلا بحظى سيد ومسود
فيحظى بفخر من علاك مجدد ... ويحظى بعمر فى مداه جديد

ثم يقول :

ولما رأيت الله يهدى وخلقه ... تجاسرت واستفرغت جهد جهيد
فكان احتفالى فى الهدية درهما ... يطيز من الأنفاس يوم ركود
وجزءا لطيفا ذرعه ذرع محبس ... وتقييده بالشكل مثل قيودى
ألاطف مولانا وكالماء طبعه ... تسلل من عذب النطاف برود
زلالا على المتعطفين وجلمدا ... على كل عريض الد مريد (٢)

---

(١) يتيمة الدهر – ص ٢٥٥ ج ٢
(٢) نفس المصدر – ص ٢٥٦

واليوم الحادى والعشرون من هذا الشهر (مهرماه) هو يوم رام . ومن الاشارة اليه فى الشعر العربى ما كتبه أبو الطيب الطاهرى إلى أخيه أبى طاهر بكرة يوم الرام :

وأنى والمـــؤذن يـــوم رام لمختلفان فى هـــذى الغـداة
أنـادى بالصبـوح كه كيـادا إذا نـادى بحى عـلى الفـلاح

كياناً أو كياده بمعنى الفضيحة والعار والفجر فكأنه يريد أن يقول أنه يشرب ويفجر فى الوقت الذى يدعو فيه المؤذن إلى الفلاح . ومن عجيب الاتفاق أن أخاه أبا طاهر كان قد أرسل اليه رقعة فى نفس الوقت عبر فيها عن نفس المعنى وبنفس الألفاظ تقريباً :

وأنى والمـــؤذن يـــوم رام لمختلفان فى هـــذا الصبـاح
أنـادى بالصبـــح كه كيـادا إذا نـادى بحى عـلى الفلاح(١)

ومن أعيادهم السذق . وله نصيب كبير فى الشعر العربى . وفيه يقول ابن حجاج من قصيدة مدح بها عضد الدولة بن بوية :

مولاى يامن نـــداه يعـدو ففات ميتـا ليس يلحـق
ليلتنـا حـنهـا عجيـب بالقصف والعزف قـد تحقق
لنـارها فى السمـا لسان عن نور ضوء الصباح ينطق
والجو منهـا قـد صار جمرا والنجم منها قد كاد يحرق(٢)
ودجلـة أضرمت حريقـا بألف نـار وألـف زورق
فاؤهـنا كنهـا حمـيم قـد فـار مما غـلى ويقبق(٣)

(١) يتيمة الدهر — ص ٦٩ ج ٤
(٢) صحح مصحح نهاية الأرب وزنه على النحو التالى .
والجو منهـا يصير جمرا والنجم منهـا يـكاد يحرق
(٣) نهاية الأرب — ص ١٨٩ ج ١

ومن شعر أبي القاسم المطرز في مذق عمله السلطان ملكشاه في سنة ٤٨٤ :

وكل نار على العشاق مضرمة ... من نار قلبي أو من ليلة المذق
نار تجلت بها الظلماء فاشتبهت ... بصدغة الليل فيها غرة الفلق
وزارت الشمس فيها الليل واصطلحا ... على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدت على الأرض بساطا من جواهرها ... ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المطبيح الا أنها نزلت ... من السماء بلا رجم ولا حرق
أعجب بنار ورضوان يسعرها ... ومالك قائم منها على فرق
في مجلس ضحكت روض الجنان له ... لما جلا ثغره عن واضح يقق (١)

ويكون عيد المذق في ليلة الحادي عشر من شهر بهمن ماه . وقد أحاط باسمه وسبب اتخاذه أساطير كثيرة فيقال إن اسمه بالفارسية « سده » بمعنى « صد » فهو عندهم عيد المائة إذ لما اكتمل لجيومرث مائة ولد في هذا اليوم احتفلوا به وسموه عيد المائة . وزاد بعضهم أن أولاد جيومرث المائة لما بلغوا سن الرشد زوجهم في هذه الليلة فكان هذا الاحتفال والعيد .(٢)

وهذا العيد كغيره من الأعياد التي مر ذكرها ليس من السهل الاهتداء إلى سبب اتخاذها وحين يفقد الباحث الأسباب الحقيقية لتوغلها في القدم يكون من واجبه أن يهتم إلى حد ما بالأساطير عله يجد في ظلماتها شيئاً ينبيء عن الواقع أو يصور البيئة . وأيا ماكان السبب في تسمية هذا العيد أو الاحتفال به فإنه صادف عناية كبيرة في العهود الاسلامية . ومن عاداتهم في ليلة هذا العيد إيقاد النيران على قمم الجبال وإطلاق الطيور في الجو بعد أن يعلقوا في أرجلها المواد المشتعلة ، وأينما حطت هذه الطيور انتشرت النيران وممن بالغ في العناية بهذا العيد في العهود الاسلامية مرداويج ، فكان يأمر بجمع الأحطاب على رؤس الجبال ويأمر بالغربان والطيور فيعلق

(١) نهاية الأرب – ص ١٩٠ ج ١ .
(٢) بدائع اللغة لمحمد يزدي .

بمناقيرها وأرجلها الجوز المحشو مشاقة ونفطا ، ثم تطلق هذه الطيور لتحط على رؤس الجبال فتشتعل النيران فى كل مكان .

وكان الملوك يبالغون فى اتخاذ أسباب اللهو والتقصف فى هذه الليلة ويفد الشعراء عليهم بقصائد المديح .

وكان بديع الزمان الهمذانى ممن ينكرون على المسلمين الاندفاع فى تيار الفرس ويتعصبون ضدهم فى كل مناسبة . ومن ذلك رسالته فى ذم السذق التى يقول فيها :

« هذا هو العيد ، وذلك هو الضلال البعيد ، إنهم يشبون نارا هى موعدهم ، والنار فى الدنيا عيدهم ، والله الى النار يعيدهم .... أن عيد الوقود إفك وإن شعار الناس لشعار شرك ، وماأنزل الله بالسذق سلطاناً ولا شرف نيروزا ولا مهرجاناً . وإنما صب الله سيوف العرب على قروس العجم لماكره من أديانها وسخط من نيرانها ..الخ..»(١) .

ولأعلام الأماكن الفارسية ذكرها فى الشعر العربى . ومن هذه الأماكن شعب بوان . وأشهر ما يشير اليه من الشعر العربى قصيدة المتنبى التى مدح بها عضد الدولة وهى :

مغانى الشعب طيباً فى المغانى ... بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربى فيها ... غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها ... سليمان لسار بترجمان
طبت فرساننا والخيل حتى ... خشيت وإن كرمن من الحران
غدونا نقفض الأغصان فيه ... على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبن الشمس عنى ... وجئن من الضياء بما كفانى

(١) اليتيمة – ص ٢٤٩ ج ٤

وألقى الشرق منها فى ثيابى ... دنانيرا تفر من البنان
لها ثمر تشير اليك منها ... بأشربة وقفن بلا أوان
وأمواه يصل بها حطها ... صليل الحلى فى أيدى الغوانى
ولو كانت دمشق ثنى عنانى ... ليبق الشرد صينى الجفان
يلنجوجى مارفعت لضيف ... به النيران ندى الدخان
يحل به على قلب شجاع ... ويرحل منه عن قلب جبان
منازل لم يزل منها خيال ... يشيعنى إلى النوبندجان
إذا غنى الحمام الورق فيها ... أجابته أغانى القيان
ومن بالشعب أحوج من حمام ... إذا غنى وناح إلى البيان
وقد يتقارب الوصفان جدا ... وموصوفاهما متباعدان
يقول بشعب بوان حصانى ... أعن هذا يسار إلى الطعان
أبوكم آدم من المعاصى ... وعلمكم مفارقة الجنان(١)

وبوان بالفتح والتشديد علم على ثلاثة أماكن أشهرها شعب بوان ببلاد فارس ويقع فى الطريق بين أرجان والنوبندجان وهو أحد جنان الدنيا لكثرة أشجاره، وتنوع أطياره ، وتدفق مياهه ، وطيب رياحينه ، واختلاف ثماره وفواكه . وحسبنا أن نمعن فى قصيدة المتنبى وما بها من الوصف والتصوير . ويذكر ياقوت عن المبرد أنه مر بشعب بوان فقرأ على شجرة به :

إذا أشرف المخزون من رأس تلعة ... على شعب بوان استراح من الكرب
وألهاه بطن كالحرير مسه ... ومطرد يجرى من البارد العذب
وطيب ثمار فى رياحين أريضة ... على قرب أغصان جناها على قرب
فبالله ياريح الجنوب تحملى ... إلى أهل بغداد سلام فتى صب(٢)

ومن البلاد التى كثر ذكرها فى شعر المشارقة بخارى ، وهى احدى العواصم الاسلامية الشهيرة ولم يكن جوها من الأجواء التى تشجع على طول الاقامة والمكث فيها ولذا يقول الشاعر :

---

(١) ديوان المتنبى .
(٢) معجم البلدان .

أقمنـــا فى بخارى كارهينـــا ونخرج أن خرجنـــا طائعينـــا
فأخرجنـــا إله النـــاس عنها فان عـــدنا فإنـــا ظالمـــونا (١)

وفى الجزء الرابع من اليتيمة كثير من الأشعار المتصلة ببخارى .

وللشطرنج ، اللعبة المعروفة ، نصيب فى الشعر العربى . وممن ارتبط ذكره بذكر الشطرنج شاعر من شعراء بخارى وأدبائها وهو أبو القاسم الكسروى وكان أبو القاسم يكره الشطرنج ويذمها ويبغض لاعبها . وله فيها أقوال ظريفة فكان يقول « لا ترى شطرنجياً غنياً الا بخيلا ولا فقيراً الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج فاذا جرى ذكر شىء منها قيل جاء الزمهرير ولا يتمثل بها الا فيما يعاب ويذم ويكره ، وإذا كان مع الغلام الصبيح المليح رقيب ثقيل قيل معه فرزان (٢) بيدق (٣) ، وإذا استحقر قدر الانسان قيل كأنه بيدق ولاسيما إذا اجتمع فيه قصر القد وصغر القدر كما قال الناجم :

الا يـــا بيـــدق الشطـــرنج فى القيمـــة والقـــامة

وإذا ذكر وقوع الانسان فى ورطة وهلكة على يد عدو قيل كما قال عبد الله بن المعتز وأجاد :

قـــل للشقـــى وقعـــت فى الفـــخ أودت بشاهك (٤) ضربة الرخ (٥)

---

(١) اليتيمة — ص ٦٨ ج ٤ .

(٢) ، (٣) البيدق وجمعه بيادق وبيادة معرب بيده ، بياده وهو الجندى الراجل . وفيه يقول الفرزدق :

منعتك ميراث الملوك وتـــاجهم وأنت لدرعى بيدق فى البيادق

استقزارا لشأنه لأن البيدق وهو الجندى الراجل لا يستطيع أن يؤثر فى درعه . وفرزان وفرزين ما يلى البيدق من قطع الشطرنج . ويقال تفرزن البيدق أى صار فرزان يضرب للوضيع يرفع نفسه فوق قدره .

(٤) الشاه — الملك ، ومن قطع الشطرنج .

(٥) الرخ — طائر وهمى ، ومن قطع الشطرنج .

وإذا رؤى طفيلى يسىء الأدب على المائدة قيل انظروا إلى يد الكشحان كأنها الرخ فى الرقعة .... وإذا ذكر وضيع ارتفع قيل كما قال أبو تمام

قـــل لى مـــتى فـــرزنت سر عـــة ما أرى يـــا بيـــدق(١)

والشطرنج لعبة ليست فارسية الأصل لأنه من اختراع الهنود ، ولكن أسماء قطعها واصطلاحات لعبها تغلب عليها الفارسية . والفرس هم الذين نقلوها إلى العرب . وكان الهنود عندما اخترعوها يظنون أن لن يقدر على فك رموزها أحد ، فأهداها ملكهم إلى كسرى أنوشروان وشرط على نفسه أن يدفع الضريبة عن بلاده كل عام للفرس إذا استطاعوا أن يفكوا رموز هذه اللعبة . وكان واثقاً أنه لن يدفع . ولجأ كسرى إلى حكيمه المشهور برزجمهر الذى عكف على دراسة هذه اللعبة مدة حتى استطاع أن يفهمها ويعرف سرها ويفطن إلى كيفية تحرك قطعها . وكانت اللعبة تدور حول الجيوش فى ميادين القتال وتصوير حركاتها .

طه ندا

(١) اليتيمة – ص ٧٨ ج ٤